سلسلة قصص الأطفال (٥)

قصص الأطفال

الجزء الخامس

قصص العقيدة الصحيحة

إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
قصص الأطفال
٥
قصص العقيدة الصحيحة
دار الطبراني

(٥)

قصص الأطفال

الجزء الخامس

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

طبع ونشر وتوزيع

دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

الموقع "اليمن - عدن - لحج - دار الحديث بالفيوش"

المبيعات: للطلب جملة - تجزئة
هاتف للتواصل واتساب : 967775250954+

سلسلة قصص الأطفال (٥)

قصص الأطفال

الجزء الخامس

قصص

العقيدة الصحيحة

إعداد:

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَبَعْدَ رِحْلَةٍ إِيمَانِيَّةٍ مَاتِعَةٍ قَطَعْنَاهَا سَوِيًّا فِي الْأَجْزَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِيَةِ، وَالَّتِي أَخَذَتْنَا بَيْنَ ثَنَايَا "**قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ**"، وَتَفَاصِيلِ "**سِيرَةِ نَبِيِّنَا مِنْ وِلَادَتِهِ إِلَىٰ الْوَفَاةِ**"، وَعَجَائِبِ "**قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ**"، وَأُصُولِ "**قِصَصِ الْعَقِيدَةِ**"... هَا نَحْنُ نَعُودُ لِنَفْتَحَ لَكُمْ صَفْحَةً جَدِيدَةً مِنْ كِتَابِ الْحِكْمَةِ وَالْيَقِينِ.

إِنَّهُ "**صَحِيحُ الْقَصَصِ النَّبَوِيِّ لِلْأَطْفَالِ - الْجُزْءُ الْخَامِسُ**"؛ كِتَابٌ لَا يَحْمِلُ بَيْنَ دَفَّتَيْهِ إِلَّا أَصْدَقَ الْكَلَامِ وَأَجْمَلَهُ، فَقَدْ جَاءَنَا مُبَاشَرَةً مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ عَلَىٰ لِسَانِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي هَذَا الْجُزْءِ، سَنَغُوصُ فِي كُنُوزٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَكْشِفُ لَنَا حَقَائِقَ غَابَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ: سَتَجِدُونَ قِصَصًا عَنْ عَوَاقِبِ الْغُرُورِ وَالْكِبْرِ، لِنَتَعَلَّمَ التَّوَاضُعَ. وَقِصَصًا عَنِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ الْحَقِّ، لِنَتَزَوَّدَ بِالصَّبْرِ. وَقِصَصًا عَنْ كَيْدِ إِبْلِيسَ وَكَيْفَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، لِنَتَعَلَّمَ التَّمَاسُكَ الْأُسَرِيَّ. وَقِصَصًا عَنْ عَظَمَةِ الرَّحْمَةِ، لِنُدْرِكَ قِيمَةَ كُلِّ مَخْلُوقٍ يُسَبِّحُ لِلَّهِ. بَلْ وَسَتَعْرِفُونَ كَيْفَ يُمْكِنُ لِكَلِمَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، هِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، أَنْ تَكُونَ حِصْنَكُمُ الْمَنِيعَ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ.

إِنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حِكَايَاتٍ تُرْوَىٰ قَبْلَ النَّوْمِ؛ بَلْ هِيَ دُرُوسٌ حَيَّةٌ لِتَرْبِيَةِ الْقَلْبِ وَتَزْكِيَةِ الرُّوحِ. وَفِي كُلِّ قِصَّةٍ، سَتَجِدُونَ نَمُوذَجًا يُحْتَذَىٰ بِهِ لِتَكُونُوا خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ.

فَـاقْرَؤُوا بِتَدَبُّرٍ، وَعِيشُوا أَحْدَاثَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْجَلِيلَةِ، وَتَذَكَّرُوا أَنَّ خَيْرَ مَا نُرَبِّي بِهِ أَنْفُسَنَا هُوَ هَدْيُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْجُزْءَ امْتِدَادًا مُوَفَّقًا لِمَا سَبَقَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ نُورًا فِي قُلُوبِكُمْ وَفِي حَيَاتِكُمْ.

كَتَبَهُ/ سَالِمُ بْنُ الْخَضِرِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُنْذِرِيُّ

دَارُ الْحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ بِالْفُيُوشِ حَرَسَهَا اللهُ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

٢٣ رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِعَامِ ١٤٤٧ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ.

قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْحَدَرَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ فِي الْغَارِ

الْأَبُ: مَرْحَبًا بِكُمْ أَبْنَائِيَ الْأَعِزَّاءَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ تَسْمَعُوا قِصَّةً عَجِيبَةً تَتَحَدَّثُ عَنْ قُوَّةِ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ، وَكَيْفَ يُنْجِي اللهُ الْعَبْدَ بِدُعَائِهِ الصَّادِقِ؟

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! نُحِبُّ الْقَصَصَ الْجَمِيلَةَ!

لَيَانُ: وَأَنَا أُحِبُّ الْقَصَصَ الَّتِي تُعَلِّمُنَا شَيْئًا جَمِيلًا.

رَيْحَانَةُ: هَلْ هِيَ قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ، إِنَّهَا قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ رَوَاهَا لَنَا نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كَانَ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ يَمْشُونَ فِي طَرِيقٍ، فَحَانَ وَقْتُ الْمَبِيتِ، فَبَحَثُوا عَنْ مَلْجَأٍ، فَوَجَدُوا غَارًا فِي جَبَلٍ، فَدَخَلُوهُ لِيَبِيتُوا فِيهِ.

مَرْجَانَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: بَيْنَمَا هُمْ دَاخِلَ الْغَارِ، وَفَجْأَةً، سَقَطَتْ صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ وَسَدَّتْ بَابَ الْغَارِ تَمَامًا، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْخُرُوجَ أَبَدًا!

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! هَذَا مُخِيفٌ جِدًّا! هَلْ خَرَجُوا يَا أَبِي؟

الْأَبُ: فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الصَّعْبَةِ، لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا لِلْخُرُوجِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ."

لَيَانُ: وَمَا هِيَ صَالِحُ أَعْمَالِهِمْ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: بَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَذَكَّرُ أَفْضَلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ لِلَّهِ، وَيَدْعُو اللهَ بِهِ بِإِخْلَاصٍ.

قِصَّةُ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

الرَّجُلُ الْأَوَّلُ: "يَا رَبِّ، كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا (أَيْ لَا أُقَدِّمُ لِأَحَدٍ اللَّبَنَ قَبْلَهُمَا). فَنَأَىٰ بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا، فَلَمْ آتِ حَتَّىٰ أَمْسَيَا، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا. فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا وَوَقَفْتُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمَا حَتَّىٰ اسْتَيْقَظَا وَشَرِبَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ."

رَيْحَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ ابْنٍ بَارٍّ!

الْأَبُ: فَمَاذَا حَدَثَ؟ لَقَدْ تَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ قَلِيلًا، لَكِنَّهَا لَمْ تَنْفَتِحْ كُلُّهَا.

قِصَّةُ الرَّجُلِ الثَّانِي: الْعِفَّةُ

الرَّجُلُ الثَّانِي: "يَا رَبِّ، كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا، وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَهَا، وَلَكِنَّهَا أَبَتْ. وَذَاتَ يَوْمٍ، أَصَابَتْهَا شِدَّةٌ وَفَاقَةٌ، فَجَاءَتْ إِلَيَّ تَطْلُبُ الْمَالَ. فَأَعْطَيْتُهَا عَلَىٰ أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ مِنْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ لَهَا الْمَالَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ."

مَرْجَانَةُ: لَقَدْ تَرَكَ مَا يُحِبُّ لِأَجْلِ اللهِ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّتِي الْغَالِيَةَ. وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ لَقَدْ تَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ أَكْثَرَ، لَكِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْخُرُوجَ بَعْدُ.

قِصَّةُ الرَّجُلِ الثَّالِثِ: الْأَمَانَةُ

الرَّجُلُ الثَّالِثُ: "يَا رَبِّ، كُنْتُ قَدِ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، تَرَكَ أَجْرَهُ وَذَهَبَ. فَاسْتَثْمَرْتُ لَهُ أَجْرَهُ فِي زِرَاعَةٍ حَتَّىٰ نَمَتْ وَصَارَتْ كَثِيرَةً جِدًّا. ثُمَّ جَاءَ

هَذَا الْعَامِلُ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنْ إِبِلٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ وَرَقِيقٍ هُوَ أَجْرُكَ! فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْخَرْ مِنِّي! فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْخَرُ مِنْكَ، فَخُذْ كُلَّ هَذَا. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ وَذَهَبَ بِهِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ."

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُ مِنْ أَمِينٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا وَلَدِيَ الْحَبِيبَ. وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ دُعَائِهِ؟ لَقَدِ انْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ بِسَلَامَةٍ!

لَيَانُ: يَا اللهَ! إِنَّهَا قِصَّةٌ مُذْهِلَةٌ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا قُرَّةَ عَيْنِي.

رَيْحَانَةُ: مَا الَّذِي نَتَعَلَّمُهُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَتَعَلَّمُ يَا أَحِبَّائِي أَنَّ أَفْضَلَ مَا نَمْلِكُهُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي نَفْعَلُهُ بِإِخْلَاصٍ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ. هَذَا الْعَمَلُ هُوَ الَّذِي يَنْفَعُنَا فِي شَدَائِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

مَرْجَانَةُ: يَعْنِي إِذَا فَعَلْنَا خَيْرًا، حَتَّىٰ لَوْ لَمْ يَرَنَا أَحَدٌ، فَإِنَّ اللهَ يَرَاهُ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. الْأَعْمَالُ الَّتِي نَفْعَلُهَا لِأَجْلِ اللهِ فَقَطْ، هِيَ الَّتِي يُبَارِكُ اللهُ فِيهَا وَتَكُونُ سَبَبًا لِنَجَاتِنَا وَسَعَادَتِنَا. فَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْعِفَّةُ، وَالْأَمَانَةُ، كُلُّهَا أَعْمَالٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِذًا يَجِبُ أَنْ نُحَاوِلَ دَائِمًا أَنْ نَفْعَلَ الْخَيْرَ بِإِخْلَاصٍ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. اجْعَلُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ دَائِمًا فِي أذهانكم، وَتَذَكَّرُوا أَنَّ اللهَ قَرِيبٌ، يَسْمَعُ الدُّعَاءَ، وَيُنْجِي مَنْ يَلْجَأُ إِلَيْهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ.

***

قِصَّةُ ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ

الْأَبُ: أَهْلًا بِكُمْ يَا أطْفَالِي الْأَعِزَّاءَ! هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِقِصَّةٍ جَدِيدَةٍ، تُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ يُظْهِرُ آيَاتِهِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَعَلَىٰ لِسَانِ أَيِّ مَخْلُوقٍ؟ هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَجِيبَةُ رَوَاهَا لَنَا الصَّحَابِيُّ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ حَفِظُوا وَرَوَوْا أَحَادِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي، أَنَا مُتَحَمِّسٌ جِدًّا!

لَيَانُ: وَهَلْ سَتَكُونُ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟ أُحِبُّ قَصَصَ الْحَيَوَانَاتِ!

رَيْحَانَةُ: وَهَلْ هِيَ حَقِيقِيَّةٌ أَيْضًا يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ، هَذِهِ الْقِصَّةُ أَيْضًا حَقِيقِيَّةٌ وَثَابِتَةٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحَةِ، رَوَاهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي مُسْنَدِهِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُظْهِرُ لَنَا عَظَمَةَ اللهِ وَقُدْرَتَهُ. اسْتَمِعُوا جَيِّدًا:

كَانَ هُنَاكَ رَاعٍ يَرْعَىٰ غَنَمَهُ فِي مَكَانٍ بِهُدُوءٍ، وَفَجْأَةً، جَاءَ ذِئْبٌ مُسْرِعًا وَانْقَضَّ عَلَىٰ شَاةٍ مِنْ قَطِيعِ الْغَنَمِ، وَحَمَلَهَا لِيَرْكُضَ بِهَا بَعِيدًا بِسُرْعَةٍ!

مَرْجَانَةُ: يَا اللهُ! هَلْ أَكَلَهَا الذِّئْبُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: الرَّاعِي كَانَ شُجَاعًا وَسَرِيعًا! رَكَضَ خَلْفَ الذِّئْبِ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، وَلَحِقَ بِهِ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَأْخُذَ الشَّاةَ مِنْ فَمِ الذِّئْبِ وَيُعِيدَهَا إِلَىٰ قَطِيعِهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَحْسَنْتَ أَيُّهَا الرَّاعِي الشُّجَاعُ!

الْأَبُ: هُنَا حَدَثَ شَيْءٌ عَجِيبٌ لَمْ يَتَوَقَّعْهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَرَهُ الرَّاعِي فِي حَيَاتِهِ مِنْ قَبْلُ! نَظَرَ الذِّئْبُ إِلَىٰ الرَّاعِي، وَتَكَلَّمَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَقَالَ: "تَأْخُذُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ؟!"

لَيَانُ: الذِّئْبُ تَكَلَّمَ؟! هَلْ سَمِعْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟

رَيْحَانَةُ: ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ مِثْلَنَا؟! سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ.

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أَبْنَائِي، هَذَا مَا حَدَثَ! الذِّئْبُ تَكَلَّمَ! وَالرَّاعِي مِنْ شِدَّةِ ذُهُولِهِ لَمْ يُصَدِّقْ مَا سَمِعَهُ. فَقَالَ الرَّاعِي فِي نَفْسِهِ مُتَعَجِّبًا: "سُبْحَانَ اللهِ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ!"

مَرْجَانَةُ: وَمَاذَا قَالَ الذِّئْبُ بَعْدَهَا يَا أَبِي؟

الْأَبُ: الذِّئْبُ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ يَا مَرْجَانَةُ! بَلْ قَالَ لَهُ وَهُوَ مَا زَالَ يَتَكَلَّمُ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ!"

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي؟ هَلْ يَقْصِدُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ! الذِّئْبُ كَانَ يَقْصِدُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّاعِي كَلَامَ الذِّئْبِ الْعَجِيبَ، أَيْقَنَ فِي قَلْبِهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الذِّئْبُ هُوَ نَبِيٌّ حَقٌّ، وَأَنَّ مَا حَدَثَ مَعَهُ هُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ! فَذَهَبَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ لِيَرَىٰ هَذَا النَّبِيَّ وَيَسْمَعَ كَلَامَهُ وَيُسْلِمَ.

لَيَانُ: يَعْنِي الذِّئْبُ كَانَ سَبَبًا فِي هِدَايَةِ الرَّاعِي وَإِيمَانِهِ بِالْإِسْلَامِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا لَيَانُ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الْعَظِيمَةِ! الرَّاعِي أَسْلَمَ، وَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا سَمِعَهُ وَرَآهُ. فَقَدْ أَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّىٰ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَهَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُودِيَ: "الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ". ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلرَّاعِي: "أَخْبِرْهُمْ". فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ.»

وَقَدْ أَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُحَدِّثَ بِهَذَا لِصَحَابَتِهِ؛ لِتَكُونَ دَلِيلًا وَمُعْجِزَةً تَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ فِي تَسْخِيرِ مَخْلُوقَاتِهِ.

رَيْحَانَةُ: يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ غَرِيبَةٍ وَمُدْهِشَةٍ!

الْأَبُ: مَا الَّذِي نَتَعَلَّمُهُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَا أَبْطَالِي الصِّغَارَ؟

مَرْجَانَةُ: نَتَعَلَّمُ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ! حَتَّىٰ الْحَيَوَانَاتِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِأَمْرِهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَأَنَّ اللهَ قَدْ يُرْسِلُ لَنَا عَلَامَاتٍ قَوِيَّةً لِيُرِينَا الْحَقَّ وَيَدُلَّنَا عَلَىٰ طَرِيقِ الْهُدَىٰ.

لَيَانُ: وَأَنَّ رِزْقَنَا مَقْسُومٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَلَا يَجِبُ أَنْ نَحْزَنَ إِذَا فَاتَنَا شَيْءٌ، فَاللهُ هُوَ الرَّازِقُ الْعَظِيمُ.

الْأَبُ: كَلَامُكُمْ جَمِيلٌ جِدًّا يَا أَحِبَّائِي. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَهُ قُدْرَةٌ عَظِيمَةٌ لَا حُدُودَ لَهَا، وَقَدْ يُظْهِرُ آيَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ مَنْ لَا نَتَوَقَّعُ، كَالْحَيَوَانَاتِ، لِيَدُلَّ عَلَىٰ الْحَقِّ وَيُثْبِتَ رِسَالَةَ أَنْبِيَائِهِ. كَمَا تُعَلِّمُنَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ مُسَخَّرٌ لِأَمْرِ اللهِ، وَأَنَّ رِزْقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ مَكْتُوبٌ وَمَقْسُومٌ مِنَ اللهِ، فَلَا دَاعِيَ لِلْقَلَقِ أَوِ الطَّمَعِ الزَّائِدِ.

رَيْحَانَةُ: شُكْرًا لَكَ يَا أَبِي عَلَىٰ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ! لَنْ أَنْسَاهَا أَبَدًا.

الْأَبُ: وَأَنَا آمُلُ أَنْ تَبْقَىٰ هَذِهِ الْقَصَصُ فِي قُلُوبِكُمْ وَعُقُولِكُمْ، لِتَزِيدَكُمْ إِيمَانًا وَحُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

***

سَقَى كَلْبًا فَدَخَلَ الْجَنَّةَ

الْأَبُ: أَبْنَائِيَ الْأَعِزَّاءَ، بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعْنَا لِقِصَّةِ الذِّئْبِ الْعَجِيبِ، هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِقِصَّةٍ جَدِيدَةٍ تُعَلِّمُنَا دَرْسًا مُهِمًّا جِدًّا عَنِ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ؟ هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ رَوَاهَا لَنَا أَيْضًا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! أَنَا مُسْتَعِدٌّ لِقِصَّةٍ جَدِيدَةٍ!

لَيَانُ: هَلْ هِيَ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ أَيْضًا؟ أُحِبُّ قَصَصَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي فِيهَا عِبْرَةٌ.

رَيْحَانَةُ: وَمَا هِيَ الْعِبْرَةُ يَا أَبِي؟ أَخْبِرْنَا!

الْأَبُ: سَتَعْرِفُونَ الْعِبْرَةَ بِأَنْفُسِكُمْ يَا أَحِبَّائِي عِنْدَمَا تَسْمَعُونَ الْقِصَّةَ. اسْتَمِعُوا جَيِّدًا: كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مُسَافِرٌ فِي الصَّحْرَاءِ، وَقَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ كَثِيرًا، حَتَّىٰ كَادَ يَهْلِكُ. وَبَيْنَمَا هُوَ يَبْحَثُ عَنِ الْمَاءِ، وَجَدَ بِئْرًا. فَنَزَلَ إِلَىٰ الْبِئْرِ وَشَرِبَ حَتَّىٰ ارْتَوَىٰ، وَحَمِدَ اللهَ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ.

مَرْجَانَةُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ وَجَدَ الْمَاءَ!

الْأَبُ: بَعْدَ أَنْ خَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ الْبِئْرِ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْتَعِدَ، رَأَىٰ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ، وَيَكَادُ يَأْكُلُ الثَّرَىٰ (التُّرَابَ) مِنْ شِدَّةِ مَا بِهِ مِنَ الْعَطَشِ. كَانَ لِسَانُ الْكَلْبِ يَتَدَلَّىٰ مِنْ فَمِهِ، وَعَيْنَاهُ تَدُلَّانِ عَلَىٰ تَعَبِهِ الشَّدِيدِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مِسْكِينٌ الْكَلْبُ! كَانَ عَطْشَانًا جِدًّا.

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ. عِنْدَمَا رَأَىٰ الرَّجُلُ الْكَلْبَ بِهَذَا الْحَالِ، قَالَ فِي نَفْسِهِ: "لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ مَا بَلَغَ بِي مُنْذُ قَلِيلٍ." شَعَرَ الرَّجُلُ بِرَحْمَةٍ فِي قَلْبِهِ تُجَاهَ هَذَا الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ.

لَيَانُ: وَمَاذَا فَعَلَ الرَّجُلُ يَا أَبِي؟ هَلْ أَعْطَاهُ مَاءً؟

الْأَبُ: الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ دَلْوٌ لِيَأْخُذَ بِهِ الْمَاءَ مِنَ الْبِئْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِنَاءٌ لِيَسْقِيَ الْكَلْبَ. فَمَاذَا فَعَلَ؟

قَامَ هَذَا الرَّجُلُ الرَّحِيمُ بِخَلْعِ حِذَائِهِ (خُفِّهِ)، وَمَلَأَهُ بِالْمَاءِ مِنَ الْبِئْرِ، ثُمَّ أَمْسَكَ الْحِذَاءَ بِفَمِهِ (حَتَّىٰ لَا يَقَعَ مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَتَسَلَّقُ)، وَصَعِدَ مِنَ الْبِئْرِ بِصُعُوبَةٍ، ثُمَّ سَقَىٰ الْكَلْبَ الْعَطْشَانَ!

رَيْحَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ طَيِّبٍ! لَقَدْ تَعِبَ مِنْ أَجْلِ الْكَلْبِ.

مَرْجَانَةُ: هَذَا جَمِيلٌ جِدًّا مِنْهُ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. لَقَدْ فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ هَذَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ بِإِخْلَاصٍ وَحُبًّا لِلَّهِ وَرَحْمَةً بِهَذَا الْكَلْبِ. فَمَاذَا كَانَتْ نَتِيجَةُ هَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ فِي نَظَرِ اللهِ؟

يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ.» أَيْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَبِلَ عَمَلَهُ هَذَا الصَّغِيرَ الَّذِي قَامَ بِهِ مِنْ أَجْلِ كَلْبٍ، وَكَافَأَهُ أَعْظَمَ مُكَافَأَةٍ: غَفَرَ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ!

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا اللهُ! كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ سَقْيِ كَلْبٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُكُمْ أَنَّ رَحْمَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَتْ حَيَوَانًا، هِيَ عَمَلٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعِبَادَ الرُّحَمَاءَ، وَيُكَافِئُهُمْ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ.

لَيَانُ: يَعْنِي حَتَّىٰ لَوْ سَقَيْنَا قِطَّةً أَوْ عُصْفُورًا، فَاللهُ يَرَىٰ ذَلِكَ وَيَأْجُرُنَا بِهِ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا لَيَانُ! كُلُّ عَمَلٍ طَيِّبٍ تَقُومُونَ بِهِ تُجَاهَ أَيِّ مَخْلُوقٍ، سَوَاءٌ كَانَ إِنْسَانًا أَوْ حَيَوَانًا أَوْ حَتَّىٰ شَجَرَةً، إِذَا كَانَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ وَيُثِيبُكُمْ.

أَبْنَائِي، هَذِهِ الْقِصَّةُ مَوْجُودَةٌ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ.

فَهَلْ فَهِمْتُمُوهَا وَاسْتَفَدْتُمْ مِنْهَا؟

رَيْحَانَةُ: لَقَدْ فَهِمْتُ! يَجِبُ أَنْ نَكُونَ رُحَمَاءَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَنَا.

الْأَبُ: هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الْعَظِيمُ يَا رَيْحَانَةُ. فَبِالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، نَفُوزُ بِرَحْمَةِ اللهِ وَغُفْرَانِهِ.

***

قِصَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي أَزَالَ غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ

الْأَبُ: أَهْلًا بِكُمْ يَا أَحِبَّائِي، هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِقِصَّةٍ جَدِيدَةٍ تُعَلِّمُنَا أَنَّ أَبْسَطَ الْأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي نَفْعَلُهَا قَدْ تَكُونُ عَظِيمَةً عِنْدَ اللهِ؟ هَذِهِ الْقِصَّةُ الْجَمِيلَةُ رَوَاهَا لَنَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَاهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْهُ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! أَنَا أُحِبُّ الْقَصَصَ الَّتِي تُعَلِّمُنَا الْخَيْرَ.

لَيَانُ: هَلْ هِيَ قِصَّةٌ سَهْلَةُ الْفَهْمِ؟

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا سَيَفْعَلُ الرَّجُلُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟

الْأَبُ: هَذِهِ الْقِصَّةُ سَهْلَةٌ جِدًّا يَا لَيَانُ، وَعِبْرَتُهَا عَظِيمَةٌ. اسْتَمِعُوا جَيِّدًا:

كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ، رَأَىٰ شَيْئًا غَرِيبًا وَمُؤْذِيًا فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ.

مَرْجَانَةُ: مَا هُوَ هَذَا الشَّيْءُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ رَأَىٰ غُصْنَ شَوْكٍ كَبِيرًا مُلْقًىٰ فِي وَسَطِ طَرِيقِ النَّاسِ. تَخَيَّلُوا يَا أَبْنَائِي، هَذَا الْغُصْنُ كَانَ مَلِيئًا بِالْأَشْوَاكِ الْحَادَّةِ، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْذِيَ أَيَّ شَخْصٍ يَمُرُّ مِنْ هُنَاكَ، أَوْ يَقْطَعَ ثِيَابَهُ، أَوْ يُؤْذِيَ قَدَمَيْهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: هَذَا خَطَرٌ جِدًّا!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ. فَكَّرَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: "وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِئَلَّا يُؤْذِيَهُمْ." أَيْ أَنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يُبْعِدَ هَذَا الْغُصْنَ الْمُؤْذِيَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ، حَتَّىٰ لَا يَتَضَرَّرَ أَحَدٌ بِسَبَبِهِ.

لَيَانُ: وَهَلْ أَبْعَدَهُ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا لَيَانُ. قَامَ الرَّجُلُ، وَبِكُلِّ هُدُوءٍ وَإِخْلَاصٍ، أَخَذَ هَذَا الْغُصْنَ الشَّوْكِيَّ وَأَبْعَدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَضَعَهُ فِي مَكَانٍ لَا يُؤْذِي أَحَدًا. لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ شُكْرًا مِنْ أَحَدٍ. لَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلِأَنَّهُ يُحِبُّ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ.

رَيْحَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ عَمَلٍ جَمِيلٍ!

مَرْجَانَةُ: وَهَلْ كَافَأَهُ اللهُ عَلَىٰ هَذَا الْعَمَلِ الصَّغِيرِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ! كَافَأَهُ اللهُ مُكَافَأَةً عَظِيمَةً جِدًّا! يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ: «فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ!»

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: الْجَنَّةُ! يَا أَبِي، كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ غُصْنِ شَوْكٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا دَرْسًا عَظِيمًا وَهُوَ أَنَّ أَبْسَطَ الْأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي نَفْعَلُهَا، إِذَا كَانَتْ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَدْ تَكُونُ سَبَبًا عَظِيمًا لِدُخُولِنَا الْجَنَّةَ. إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَيُثِيبُ عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا فِي أَعْيُنِنَا.

لَيَانُ: يَعْنِي إِذَا أَزَلْنَا قِشْرَةَ مَوْزَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ، أَوْ حَجَرًا صَغِيرًا، فَاللهُ يَرَىٰ ذَلِكَ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ وَقَدْ نَدْخُلُ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا لَيَانُ! نَعَمْ! كُلُّ مَا فِيهِ إِمَاطَةٌ لِلْأَذَىٰ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ مُسَاعَدَةٌ لِلْآخَرِينَ، أَوْ فِعْلٌ لِلْخَيْرِ، هُوَ عَمَلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَيُكَافِئُ عَلَيْهِ.

رَيْحَانَةُ: لَقَدْ فَهِمْتُ! يَجِبُ أَنْ نَكُونَ دَائِمًا حَرِيصِينَ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ صَغِيرًا.

الْأَبُ: هَذَا هُوَ الدَّرْسُ يَا رَيْحَانَةُ. فَبِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مَهْمَا صَغُرَتْ، نَتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ وَنَفُوزُ بِرِضَاهُ وَجَنَّتِهِ.

وَالْآنَ، مَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَا أَبْطَالُ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: فَائِدَتِي يَا أَبِي هِيَ أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ حَتَّىٰ لَوْ لَمْ يَرَنَا أَحَدٌ أَوْ نَنْتَظِرْ شُكْرًا مِنْهُمْ. الرَّجُلُ أَزَالَ الشَّوْكَ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، وَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي كَافَأَهُ.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يُضِيعُ أَجْرَ أَيِّ عَمَلٍ طَيِّبٍ، مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا أَوْ يَبْدُو غَيْرَ مُهِمٍّ فِي أَعْيُنِنَا. فَأَيُّ إِحْسَانٍ أَوْ مُسَاعَدَةٍ نُقَدِّمُهَا، يَرَاهَا اللهُ وَيُثِيبُنَا عَلَيْهَا.
- **رَيْحَانَةُ**: أَمَّا فَائِدَتِي، فَهِيَ أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَكُونَ دَائِمًا مُبَادِرِينَ لِفِعْلِ الْخَيْرِ وَإِزَالَةِ الضَّرَرِ عَنِ الْآخَرِينَ، سَوَاءٌ كَانَ شَيْئًا مَادِّيًّا مِثْلَ الشَّوْكِ، أَوْ حَتَّىٰ بِإِزَالَةِ الْكَلِمَةِ السَّيِّئَةِ أَوِ الْمُسَاعَدَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ.
- **مَرْجَانَةُ**: فَائِدَتِي الْأَخِيرَةُ هِيَ أَنَّ النِّيَّةَ الصَّادِقَةَ وَالْإِخْلَاصَ فِي الْعَمَلِ لِوَجْهِ اللهِ هُمَا مِفْتَاحُ الْقَبُولِ وَالْمُكَافَأَةِ الْعَظِيمَةِ. الرَّجُلُ فَعَلَ ذَلِكَ حُبًّا لِلَّهِ وَرَغْبَةً فِي الْخَيْرِ، فَكَانَتِ الْجَنَّةُ هِيَ جَائِزَتَهُ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا مَرْجَانَةُ! وَأَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا يَا أَبْنَائِي فِي اسْتِخْلَاصِ هَذِهِ الدُّرُوسِ الْقَيِّمَةِ. أَتَمَنَّىٰ أَنْ تَتَذَكَّرَ دَائِمًا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ، مَهْمَا صَغُرَ، هُوَ كَنْزٌ لَنَا عِنْدَ اللهِ.

***

قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الَّتِي دَخَلَتِ النَّارَ بِسَبَبِ هِرَّةٍ

الْأَبُ: أَهْلًا بِكُمْ أَبْنَائِيَ الْأَعِزَّاءَ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا كَيْفَ أَنَّ إِمَاطَةَ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ تُدْخِلُ الْجَنَّةَ، هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِقِصَّةٍ مُهِمَّةٍ أُخْرَىٰ تُظْهِرُ لَنَا كَمْ هِيَ الرَّحْمَةُ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللهِ، وَكَمْ هُوَ الظُّلْمُ خَطِيرٌ؟ هَذِهِ الْقِصَّةُ أَيْضًا رَوَاهَا لَنَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! أَنَا مُسْتَعِدٌّ لِأَعْرِفَ مَاذَا حَدَثَ!

لَيَانُ: هَلْ هِيَ قِصَّةٌ حَزِينَةٌ؟

رَيْحَانَةُ: وَمَا هِيَ "الْهِرَّةُ" يَا أَبِي؟

الْأَبُ: الْهِرَّةُ يَا رَيْحَانَةُ هِيَ الْقِطَّةُ الصَّغِيرَةُ. وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا دَرْسًا مُهِمًّا جِدًّا لَنَا جَمِيعًا. اسْتَمِعُوا جَيِّدًا:

كَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَحِيمَةً. لَقَدْ كَانَتْ لَدَيْهَا هِرَّةٌ (قِطَّةٌ).

مَرْجَانَةُ: هَلْ كَانَتْ تُحِبُّهَا وَتَعْتَنِي بِهَا؟

الْأَبُ: لَا يَا مَرْجَانَةُ، بَلْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ قَامَتْ بِحَبْسِ هَذِهِ الْهِرَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَخْرُجُ لِتَبْحَثَ عَنْ طَعَامِهَا بِنَفْسِهَا فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ تُطْعِمْهَا هِيَ أَيْضًا!

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهَا مِنْ امْرَأَةٍ قَاسِيَةٍ! كَيْفَ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِقِطَّةٍ صَغِيرَةٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. لَقَدْ بَقِيَتِ الْقِطَّةُ مَحْبُوسَةً، مِسْكِينَةً، لَا تَجِدُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا. وَمَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ، ضَعُفَتِ الْقِطَّةُ وَجَاعَتْ وَعَطِشَتْ، حَتَّىٰ مَاتَتْ بِسَبَبِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ مِنْ شِدَّةِ الْإِهْمَالِ.

لَيَانُ: مَاتَتِ الْهِرَّةُ الْمِسْكِينَةُ! هَذَا مُحْزِنٌ جِدًّا يَا أَبِي.

رَيْحَانَةُ: هَلْ عَاقَبَهَا اللهُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ. يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ." رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

أَيْ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ دَخَلَتِ النَّارَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْقِطَّةِ الْمِسْكِينَةِ الَّتِي ظَلَمَتْهَا.

مَرْجَانَةُ: النَّارُ! كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ قِطَّةٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا دَرْسًا خَطِيرًا جِدًّا، وَهُوَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُحِبُّ الظُّلْمَ أَبَدًا، حَتَّى لَوْ كَانَ تُجَاهَ حَيَوَانٍ ضَعِيفٍ. إِنَّ اللهَ عَدْلٌ، وَيُحَاسِبُنَا عَلَى كُلِّ أَفْعَالِنَا، سَوَاءٌ كَانَتْ خَيْرًا أَمْ شَرًّا. فَإِذَا كُنَّا رَحِيمِينَ بِالْمَخْلُوقَاتِ، نُجَازَى بِالْجَنَّةِ، وَإِذَا كُنَّا قَاسِينَ وَظَالِمِينَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَنَا سَتَكُونُ وَخِيمَةً.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَجِبُ أَلَّا نَظْلِمَ أَبَدًا أَيَّ مَخْلُوقٍ.

لَيَانُ: وَحَتَّى الْحَيَوَانَاتُ لَهَا حُقُوقٌ عَلَيْنَا، فَيَجِبُ أَنْ نُعْطِيَ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ وَالْإِحْسَانِ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَنَا بِالرَّحْمَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

رَيْحَانَةُ: لَقَدْ فَهِمْتُ الدَّرْسَ يَا أَبِي. سَأَكُونُ رَحِيمَةً بِجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ.

الْأَبُ: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ يَا ابْنَتِي. فَلْتَكُنْ قُلُوبُكُمْ مَلِيئَةً بِالرَّحْمَةِ وَاللِّينِ لِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ.

***

قِصَّةُ ذِئْبٍ يَأْكُلُ طِفْلًا

الْأَبُ: أَبْنَائِيَ الْأَعِزَّاءَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ تَسْمَعُوا قِصَّةً عَجِيبَةً تَتَحَدَّثُ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ؟

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! نُحِبُّ الْقَصَصَ الْجَمِيلَةَ!

لَيَانُ: وَأَنَا أُحِبُّ الْقَصَصَ الَّتِي تُعَلِّمُنَا شَيْئًا جَمِيلًا عَنِ الْعَدْلِ!

رَيْحَانَةُ: هَلْ هِيَ قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ، إِنَّهَا قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ رَوَاهَا لَنَا نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ.

كَانَتِ امْرَأَتَانِ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا طِفْلٌ صَغِيرٌ، وَكَانَتَا تُحِبَّانِ أَبْنَاءَهُمَا حُبًّا شَدِيدًا. وَذَاتَ يَوْمٍ، وَهُمَا فِي طَرِيقِهِمَا، هَجَمَ عَلَيْهِمَا ذِئْبٌ مُفْتَرِسٌ. وَفِي غَفْلَةٍ مِنْهُمَا، انْقَضَّ الذِّئْبُ وَأَخَذَ أَحَدَ الطِّفْلَيْنِ وَمَضَىٰ بِهِ!

مَرْجَانَةُ: أَخَذَهُ الذِّئْبُ! أَيُّ طِفْلٍ أَخَذَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: هُنَا بَدَأَتِ الْمُشْكِلَةُ يَا مَرْجَانَةُ! بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ الذِّئْبُ بِالطِّفْلِ، بَقِيَ طِفْلٌ وَاحِدٌ مَعَ الْمَرْأَتَيْنِ. كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ادَّعَتْ أَنَّ الطِّفْلَ الْبَاقِيَ هُوَ ابْنُهَا الَّذِي نَجَا مِنَ الذِّئْبِ!

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ أَلَمْ تَعْرِفْ كُلُّ وَاحِدَةٍ ابْنَهَا؟

الْأَبُ: لَقَدِ اخْتَلَفَتَا كَثِيرًا، فَقَالَتِ الْكُبْرَىٰ لِصَاحِبَتِهَا: "إِنَّمَا ذَهَبَ الذِّئْبُ بِابْنِكِ، وَهَذَا ابْنِي!" فَرَدَّتِ الصُّغْرَىٰ قَائِلَةً: "لَا، بَلْ ذَهَبَ الذِّئْبُ بِابْنِكِ، وَهَذَا هُوَ ابْنِي!"

لَمْ تَجِدَا حَلًّا، فَقَرَّرَتَا أَنْ تَذْهَبَا إِلَىٰ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ، فَذَهَبَتَا إِلَىٰ النَّبِيِّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا.

لَيَانُ: وَمَاذَا حَكَمَ النَّبِيُّ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

الْأَبُ: بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعَ لَهُمَا، اجْتَهَدَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحُكْمِ، فَقَضَىٰ بِالْوَلَدِ لِلْمَرْأَةِ الْكُبْرَىٰ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْبَرَ سِنًّا، وَرُبَّمَا رَأَىٰ قَرَائِنَ تَدْعَمُ قَوْلَهَا.

فَخَرَجَتَا مِنْ عِنْدِ دَاوُدَ، وَلَمْ تَرْضَ الْمَرْأَةُ الصُّغْرَىٰ بِالْحُكْمِ، فَمَرَّتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ صَغِيرَ السِّنِّ وَلَكِنَّ اللهَ آتَاهُ حِكْمَةً عَظِيمَةً. فَأَخْبَرَتَاهُ بِالْقِصَّةِ كُلِّهَا، وَبِمَا قَضَىٰ بِهِ أَبُوهُ.

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

الْأَبُ: قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمَا بِحِكْمَةٍ وَذَكَاءٍ: "ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا!"

مَرْجَانَةُ: مَاذَا؟! سَيَقْطَعُ الطِّفْلَ نِصْفَيْنِ؟! هَذَا مُخِيفٌ جِدًّا!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ، قَالَ ذَلِكَ! وَلَكِنْ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَرَىٰ الْأُمَّ الْحَقِيقِيَّةَ. فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَرْأَةُ الصُّغْرَىٰ ذَلِكَ، خَافَتْ عَلَىٰ الطِّفْلِ خَوْفًا شَدِيدًا، فَقَالَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَعِشٍ يَدُلُّ عَلَىٰ رَحْمَتِهَا الْعَظِيمَةِ وَحُبِّهَا الْحَقِيقِيِّ: "لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ! هُوَ ابْنُهَا." (تَنَازَلَتْ عَنْهُ خَوْفًا عَلَيْهِ).

أَمَّا الْمَرْأَةُ الْكُبْرَىٰ، فَلَمْ تَتَأَثَّرْ وَلَمْ تُبْدِ أَيَّ رَحْمَةٍ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَمَاذَا حَكَمَ سُلَيْمَانُ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: لَمَّا رَأَىٰ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْمَوْقِفَ، عَرَفَ فَوْرًا مَنِ الْأُمُّ الْحَقِيقِيَّةُ، فَقَضَىٰ بِالْوَلَدِ لِلْمَرْأَةِ الصُّغْرَىٰ، لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا الْحُبُّ وَالشَّفَقَةُ عَلَىٰ الْوَلَدِ وَفَضَّلَتْ حَيَاتَهُ عَلَىٰ مِلْكِهِ، بِخِلَافِ الْأُخْرَىٰ. وَهَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ الَّتِي آتَاهَا اللهُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ عَرَفَ الْأُمَّ الْحَقِيقِيَّةَ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي الْأَذْكِيَاءَ، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ رَحْمَةَ الْأُمِّ وَحُبَّهَا لِابْنِهَا يَدْفَعَانِهَا لِلتَّضْحِيَةِ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِهِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ ذَلِكَ التَّنَازُلَ عَنْ حَقِّهَا.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ الْحَاكِمَ الذَّكِيَّ وَالْحَكِيمَ يَسْتَخْدِمُ الْحِيلَةَ الشَّرْعِيَّةَ وَالذَّكَاءَ لِيَصِلَ إِلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَلَيْسَ فَقَطْ يَسْمَعُ الْأَقْوَالَ.
- **رَيْحَانَةُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ الْبَيِّنَةَ الْقَاطِعَةَ لَيْسَتْ دَائِمًا فِي الْكَلَامِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْمَوَاقِفِ الَّتِي تُظْهِرُ الصِّدْقَ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ حُكْمَ اللهِ هُوَ الْأَعْدَلُ دَائِمًا، وَأَنَّهُ يُوَفِّقُ الْحُكَّامَ الصَّادِقِينَ لِلْقَضَاءِ بِالْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا مَرْجَانَةُ! وَأَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا يَا أَبْنَائِي فِي اسْتِخْلَاصِ هَذِهِ الدُّرُوسِ الْقَيِّمَةِ. أَتَمَنَّىٰ أَنْ تَتَذَكَّرَ دَائِمًا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ، مَهْمَا صَغُرَ، هُوَ كَنْزٌ لَنَا عِنْدَ اللهِ.

***

ضَيْفٌ فِي بَيْتِ أنْصَارِي فَقِيرٍ

الْأَبُ: أَهْلًا بِكُمْ يَا كِرَامَ النُّفُوسِ! هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِقِصَّةٍ جَدِيدَةٍ تُعَلِّمُنَا عَنِ الْكَرَمِ وَالْإِيثَارِ، وَكَيْفَ يُحِبُّ اللهُ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ غَيْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ؟ هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ رَوَاهَا لَنَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! أَنَا أُحِبُّ قَصَصَ الْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ!

لَيَانُ: وَمَاذَا يَعْنِي "الْإِيثَارُ"؟

الْأَبُ: الْإِيثَارُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي يَعْنِي أَنْ تُقَدِّمَ غَيْرَكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، حَتَّىٰ لَوْ كُنْتَ أَنْتَ بِحَاجَةٍ لِهَذَا الشَّيْءِ. وَالْآنَ اسْتَمِعُوا جَيِّدًا:

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، جَاءَ رَجُلٌ مُتْعَبٌ وَجَائِعٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: "إِنِّي مَجْهُودٌ." أَيْ أَنَّهُ مُتْعَبٌ وَبِهِ جُوعٌ شَدِيدٌ. فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكْرِمَهُ وَيُطْعِمَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ بَعْضِ زَوْجَاتِهِ، فَأَجَابَتْهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ!" أَيْ لَيْسَ عِنْدَهُنَّ طَعَامٌ يُقَدِّمْنَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»

مَرْجَانَةُ: هَلْ هُنَاكَ مَنْ وَافَقَ عَلَىٰ الْفَوْرِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. قَامَ رَجُلٌ عَظِيمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ (وَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّذِينَ نَصَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَكَانَ اسْمُهُ أَبَا طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ: "أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ!" وَأَخَذَ الضَّيْفَ وَذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ بَيْتِهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: هَذَا الصَّحَابِيُّ كَرِيمٌ جِدًّا!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ بَيْتِهِ، سَأَلَ زَوْجَتَهُ: "هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ نُطْعِمُ بِهِ هَذَا الضَّيْفَ؟" فَقَالَتْ لَهُ الزَّوْجَةُ: "لَا وَاللهِ، لَيْسَ عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِنَا الصِّغَارِ!" لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ طَعَامٌ يَكْفِي سِوَىٰ لِأَبْنَائِهِمُ الصِّغَارِ الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا بَعْدُ.

لَيَانُ: يَا اللهُ! لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الطَّعَامِ لِلضَّيْفِ. فَمَاذَا سَيَفْعَلُونَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: هُنَا جَاءَ الْإِيثَارُ الْعَظِيمُ يَا لَيَانُ. قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِزَوْجَتِهِ: "إِذَنْ، نَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا الْعَشَاءَ (أَيْ أَخْلِدِيهِمْ لِلنَّوْمِ دُونَ طَعَامٍ)، وَأَطْفِئِي السِّرَاجَ (الْمِصْبَاحَ)."

رَيْحَانَةُ: لِمَاذَا يُطْفِئُونَ السِّرَاجَ؟

الْأَبُ: يُطْفِئُونَ السِّرَاجَ يَا رَيْحَانَةُ حَتَّىٰ لَا يَرَىٰ الضَّيْفُ أَنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ مَعَهُ، فَيَسْتَحِي أَوْ يَشْعُرَ بِالْإِحْرَاجِ، وَيَدَعُونَ الطَّعَامَ لَهُ وَحْدَهُ حَتَّىٰ يَشْبَعَ. وَهَكَذَا، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ وَزَوْجَتُهُ بِتَنْوِيمِ أَبْنَائِهِمَا الصِّغَارِ دُونَ أَنْ يَأْكُلُوا، ثُمَّ قَدَّمَا الطَّعَامَ لِلضَّيْفِ فِي الظَّلَامِ، وَجَلَسَا مَعَهُ وَكَأَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، بَيْنَمَا الضَّيْفُ يَأْكُلُ وَحْدَهُ.

مَرْجَانَةُ: هَذَا صَعْبٌ جِدًّا عَلَىٰ الْأَطْفَالِ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ، وَلَكِنَّهَا تَضْحِيَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَجْلِ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَلِأَجْلِ أَنْ يَنَالَا دَعْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَحْمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وَهَكَذَا، أَكَلَ الضَّيْفُ حَتَّىٰ شَبِعَ، بَيْنَمَا بَاتَ أَبُو طَلْحَةَ وَزَوْجَتُهُ وَأَطْفَالُهُمَا جِيَاعًا.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ كُرَمَاءَ!

الْأَبُ: فِي الصَّبَاحِ التَّالِي، ذَهَبَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ وَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ!» وَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَةً كَرِيمَةً تَتَحَدَّثُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ

يُؤْثِرُونَ غَيْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ [سورة الحشر: ٩].

لَيَانُ: يَعْنِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ وَمَدَحَهُمْ لِكَرَمِهِمْ وَإِيثَارِهِمْ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا لَيَانُ، يَا قُرَّةَ عَيْنِي. لَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ بِعَمَلِهِمُ الْعَظِيمِ وَكَرَمِهِمْ. هَذِهِ الْقِصَّةُ يَا أَوْلَادِي تُعَلِّمُنَا دَرْسًا عَظِيمًا وَهُوَ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ غَيْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَالَّذِينَ يُقَدِّمُونَ الْمُسَاعَدَةَ لِلْمُحْتَاجِينَ حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا هُمْ بِحَاجَةٍ. وَإِنَّ الْكَرَمَ وَالْعَطَاءَ يَجْلِبَانِ مَحَبَّةَ اللهِ وَرِضَاهُ، وَيَجْعَلَانِ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ مَلِيئَةً بِالْبَرَكَةِ وَالسَّعَادَةِ.

رَيْحَانَةُ: سَأَكُونُ كَرِيمَةً دَائِمًا يَا أَبِي.

الْأَبُ: بَارَكَ اللهُ فِيكِ يَا رَيْحَانَةُ. فَاجْعَلُوا الْكَرَمَ وَالْإِيثَارَ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِكُمْ، فَبِهِمَا تَنَالُونَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ مِنَ اللهِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْإِيثَارَ لَا يَضِيعَانِ أَبَدًا عِنْدَ اللهِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَا فِي الْخَفَاءِ.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ إِكْرَامَ الضَّيْفِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّىٰ لَوْ تَطَلَّبَ ذَلِكَ التَّضْحِيَةَ بِبَعْضِ مَا نَمْلِكُ.
- **رَيْحَانَةُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ الْبَرَكَةَ تَحِلُّ فِي الرِّزْقِ وَالْحَيَاةِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ وَالْعَطَاءِ، وَأَنَّ الْخَيْرَ يَعُودُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ.

- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ عَلَىٰ الْكَرَمِ وَالتَّضْحِيَةِ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ هِيَ سَبِيلُ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا مَرْجَانَةُ! وَأَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا يَا أَبْنَائِي فِي اسْتِخْلَاصِ هَذِهِ الدُّرُوسِ الْقَيِّمَةِ. أَتَمَنَّىٰ أَنْ نَتَذَكَّرَ دَائِمًا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ، مَهْمَا صَغُرَ، هُوَ كَنْزٌ لَنَا عِنْدَ اللهِ.

***

مَلَكٌ يُبَشِّرُ رَجُلًا بِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ

الْأَبُ: أَحِبَّائِي الْأَبْطَالُ، هَلْ تَعْرِفُونَ كَمْ هُوَ جَمِيلٌ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا فِي اللهِ؟ الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً عَجِيبَةً عَنْ رَجُلٍ أَحَبَّ صَدِيقَهُ حُبًّا خَالِصًا لِلَّهِ، فَمَاذَا حَدَثَ لَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهِ؟ اسْتَمِعُوا جَيِّدًا!

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! نَحْنُ نُحِبُّ قَصَصَكَ الْمُشَوِّقَةَ.

لَيَانُ: هَلْ كَانَتْ هُنَاكَ مُفَاجَآتٌ فِي الْقِصَّةِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: مُفَاجَأَةٌ عَظِيمَةٌ تَنْتَظِرُكُمْ! فَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، قَرَّرَ رَجُلٌ طَيِّبٌ أَنْ يَزُورَ أَخًا لَهُ يُحِبُّهُ كَثِيرًا، فِي اللهِ، وَكَانَ هَذَا الْأَخُ يَسْكُنُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ بَعِيدَةٍ. فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فِي طَرِيقِهِ، يَمْشِي وَيَمْشِي حَتَّىٰ اقْتَرَبَ مِنْ قَرْيَةِ صَاحِبِهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُ مِنْ صَدِيقٍ وَفِيٍّ! يُسَافِرُ مَسَافَةً طَوِيلَةً لِزِيَارَةِ أَخِيهِ فِي اللهِ.

الْأَبُ: هَذَا صَحِيحٌ يَا بَطَلُ! وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ، أَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا (أَيْ أَرْسَلَ اللهُ مَلَكًا لِيَقِفَ لَهُ فِي طَرِيقِهِ). تَخَيَّلُوا يَا أَوْلَادِي، مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ يَقِفُ لَهُ فِي الطَّرِيقِ!

رَيْحَانَةُ: مَلَكٌ؟ وَمَاذَا فَعَلَ الْمَلَكُ؟

الْأَبُ: فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ (أَيْ وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَىٰ الْمَلَكِ)، سَأَلَهُ الْمَلَكُ: "أَيْنَ تُرِيدُ؟"

قَالَ الرَّجُلُ: "أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ."

فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: "هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟" (أَيْ هَلْ فَعَلَ لَكَ جَمِيلًا تُرِيدُ أَنْ تُكَافِئَهُ عَلَيْهِ، أَوْ دَيْنًا تُرِيدُ أَنْ تَرُدَّهُ لَهُ؟)

مَرْجَانَةُ: يَعْنِي هَلْ ذَهَبَ لِزِيَارَتِهِ لِأَنَّهُ مَدِينٌ لَهُ بِشَيْءٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا صَغِيرَتِي. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الطَّيِّبَ أَجَابَ بِصِدْقٍ: "لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ." قَالَهَا بِكُلِّ إِخْلَاصٍ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُ مِنْ حُبٍّ صَادِقٍ! يُحِبُّهُ لِأَنَّهُ أَخُوهُ فِي الدِّينِ وَلِلَّهِ فَقَطْ.

الْأَبُ: عِنْدَهَا، كَشَفَ الْمَلَكُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: "فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ!" تَخَيَّلُوا فَرْحَةَ الرَّجُلِ! مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ يُكَلِّمُهُ!

لَيَانُ: وَمَاذَا قَالَ لَهُ الْمَلَكُ؟

الْأَبُ: قَالَ لَهُ الْمَلَكُ: "إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ!" يَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ عَظِيمٍ! اللهُ يُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ لِأَنَّهُ أَحَبَّ أَخَاهُ حُبًّا خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اللهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ جَزَاءٍ رَائِعٍ لِزِيَارَةٍ فِي اللهِ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أَحِبَّائِي. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا فَضْلَ الْحُبِّ فِي اللهِ وَزِيَارَةِ الْإِخْوَانِ مِنْ أَجْلِهِ. فَاللهُ يُكَافِئُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَحَبَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ. تَخَيَّلُوا أَنَّ اللهَ يُحِبُّكُمْ لِأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ أَصْدِقَاءَكُمْ فِي الْمَدْرَسَةِ أَوْ أَقَارِبَكُمْ لِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ! وَعَلَىٰ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رَيْحَانَةُ: هَذَا شُعُورٌ جَمِيلٌ جِدًّا يَا أَبِي! سَأَحْرِصُ دَائِمًا عَلَىٰ أَنْ أُحِبَّ صَدِيقَاتِي وَأَقَارِبِي فِي اللهِ.

لَيَانُ: وَأَنَا أَيْضًا يَا أَبِي! سَأَزُورُ صَدِيقَتِي الَّتِي تَسْكُنُ قَرِيبًا مِنَّا لِأَنِّي أُحِبُّهَا فِي اللهِ.

الْأَبُ: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ يَا أَوْلَادِي وَنَفَعَ بِكُمُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُدْهِشَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ زِيَارَةَ الْإِخْوَانِ فِي اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُثَابُ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ ثَوَابًا عَظِيمًا.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِتَكْرِيمِ هَذَا الزَّائِرِ لِأَخِيهِ فِي اللهِ، لَا لِدُنْيَا وَلَا لِمَصْلَحَةٍ، بَلْ لِأَجْلِ اللهِ وَحْدَهُ، فَكَانَ الْجَزَاءُ أَنْ بَشَّرَهُ الْمَلَكُ بِمَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ جَزَاءَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ قَدْ يَأْتِي بِمَا لَا يَتَوَقَّعُهُ الْإِنْسَانُ، كَمَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا يَا أَبْنَائِي. إِذَنْ، مَتَىٰ سَتَزُورُونَ أَحْبَابَكُمْ فِي اللهِ الْيَوْمَ؟

***

قِصَّةُ الْأَبْرَصِ وَالْأَقْرَعِ وَالْأَعْمَى

الْأَبُ: أَحِبَّائِي الْأَبْطَالُ، هَلْ تَعْرِفُونَ أَنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ لِيَعْلَمَ مَنْ يَشْكُرُ وَمَنْ يَكْفُرُ؟ الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً عَظِيمَةً عَنْ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ ابْتَلَاهُمُ اللهُ بِالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، ثُمَّ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ. فَمَاذَا كَانَتْ نِهَايَةُ كُلٍّ مِنْهُمْ؟ اسْتَمِعُوا جَيِّدًا!

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! نَحْنُ نُحِبُّ الْقَصَصَ الَّتِي تُعَلِّمُنَا دُرُوسًا.

لَيَانُ: هَلِ ابْتَلَاهُمُ اللهُ لِيُعَاقِبَهُمْ؟

الْأَبُ: لَا يَا قُرَّةَ عَيْنِي. وَلَكِنْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ لِيَظْهَرَ مَا فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ شُكْرٍ أَوْ كُفْرَانٍ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ يُمْهِلُ الْعِبَادَ وَيَمْنَحُهُمُ الْفُرَصَ، ثُمَّ يَخْتَبِرُهُمْ بِمَا أَعْطَاهُمْ. فَاسْتَمِعُوا جَيِّدًا:

فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ: أَحَدُهُمْ أَبْرَصُ، وَالْآخَرُ أَقْرَعُ، وَالثَّالِثُ أَعْمَىٰ. فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فِي صُورَةِ بَشَرٍ.

فَأَتَىٰ الْمَلَكُ إِلَىٰ الْأَبْرَصِ، فَتَمَنَّىٰ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَمَسَحَهُ الْمَلَكُ فَشُفِيَ، ثُمَّ طَلَبَ الْإِبِلَ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً حَامِلًا. وَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: "يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا."

ثُمَّ أَتَىٰ الْمَلَكُ إِلَىٰ الْأَقْرَعِ فَتَمَنَّىٰ شَعْرًا حَسَنًا، فَمَسَحَهُ الْمَلَكُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَرَعُهُ. ثُمَّ طَلَبَ الْبَقَرَ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ: "يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا."

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ لِلْأَعْمَىٰ؟

الْأَبُ: وَأَتَىٰ الْمَلَكُ الْأَعْمَىٰ فَتَمَنَّىٰ أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، فَمَسَحَهُ الْمَلَكُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. ثُمَّ طَلَبَ الْغَنَمَ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا.

رَيْحَانَةُ: وَهَلْ زَادَ مَالُهُمْ كَثِيرًا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ. فَتَكَاثَرَتْ مَوَاشِيهِمْ، فَكَانَ لِلْأَبْرَصِ وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِلْأَقْرَعِ وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِلْأَعْمَىٰ وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

مَرْجَانَةُ: لَقَدْ أَصْبَحُوا أَغْنِيَاءَ جِدًّا!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. وَبَعْدَ مُدَّةٍ، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَلَكَ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَةِ رَجُلٍ فَقِيرٍ مَرِيضٍ يُشْبِهُهُمْ فِي حَالِهِمُ الْأَوَّلِ، لِيَطْلُبَ مِنْهُمُ الْمُسَاعَدَةَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَمَاذَا فَعَلُوا؟

الْأَبُ:

١. **رَدُّ الْأَبْرَصِ:** أَتَاهُ الْمَلَكُ فِي صُورَةِ أَبْرَصَ فَقِيرٍ، فَجَحَدَ الْأَبْرَصُ النِّعْمَةَ وَتَكَبَّرَ، وَادَّعَىٰ أَنَّهُ وَرِثَ مَالَهُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: "إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ." (فَعَادَ أَبْرَصَ فَقِيرًا).

٢. **رَدُّ الْأَقْرَعِ:** أَتَاهُ الْمَلَكُ فِي صُورَةِ أَقْرَعَ فَقِيرٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْأَقْرَعُ مِثْلَ الْأَوَّلِ بِجُحُودٍ وَإِنْكَارٍ لِلْفَضْلِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: "إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ." (فَعَادَ أَقْرَعَ فَقِيرًا).

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ الْأَعْمَىٰ؟

الْأَبُ:

٣. **رَدُّ الْأَعْمَىٰ:** أَتَاهُ الْمَلَكُ فِي صُورَةِ أَعْمَىٰ فَقِيرٍ، فَأَظْهَرَ الْأَعْمَىٰ الشُّكْرَ الصَّادِقَ وَالِاعْتِرَافَ بِفَضْلِ اللهِ، وَعَرَضَ أَنْ يَأْخُذَ الْمَلَكُ مَا شَاءَ مِنْ

مَالِهِ. فَقَالَ الْمَلَكُ لَهُ: "أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ."

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ شَاكِرٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا دَرْسًا عَظِيمًا فِي أَنَّ الشُّكْرَ يَدِيمُ النِّعَمَ، وَأَنَّ الْجُحُودَ يُزِيلُهَا.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الشُّكْرَ عَلَىٰ النِّعَمِ سَبَبٌ لِرِضَا اللهِ وَدَوَامِ النِّعْمَةِ.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ الْجُحُودَ وَالتَّكَبُّرَ سَبَبٌ لِسَخَطِ اللهِ وَزَوَالِ النِّعْمَةِ.
- **رَيْحَانَةُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ مُسَاعَدَةَ الْمُحْتَاجِينَ هِيَ دَلِيلٌ عَلَىٰ الشُّكْرِ الْعَمَلِيِّ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الصِّدْقَ مَعَ اللهِ وَعَدَمَ الْكَذِبِ هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا. فَلْنَحْرِصْ دَائِمًا عَلَىٰ الشُّكْرِ وَالْإِحْسَانِ.

***

قِصَّةُ جُرَيْجٍ الْعَابِدِ وَكَلَامِ الرَّضِيعِ

الْأَبُ: أَحِبَّائِي الْأَبْطَالُ، الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً مِنْ أَجْمَلِ الْقَصَصِ وَأَكْثَرِهَا عِظَةً، قِصَّةَ رَجُلٍ عَابِدٍ مَظْلُومٍ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ لَا يَنْسَىٰ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَتَهُمْ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تَحَدَّثَ عَنْهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! مَنْ هُوَ هَذَا الْعَابِدُ؟

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ؟

الْأَبُ: كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ صَالِحٌ يُدْعَىٰ جُرَيْجٌ، كَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالتَّقْوَىٰ. فَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ صَوْمَعَةً (أَيْ مَكَانًا خَاصًّا وَمُرْتَفِعًا لِلْعِبَادَةِ)، وَكَانَ يَقْضِي مُعْظَمَ وَقْتِهِ فِيهَا فِي الصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللهِ.

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ عَابِدٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، أَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي صَوْمَعَتِهِ. فَنَادَتْهُ أُمُّهُ بِحَنَانٍ: "يَا جُرَيْجُ!" فَتَحَيَّرَ جُرَيْجٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَنْ يُكْمِلَ صَلَاتَهُ، أَوْ يُجِيبَ أُمَّهُ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي!" فَفَضَّلَ صَلَاتَهُ عَلَىٰ إِجَابَةِ أُمِّهِ. فَانْصَرَفَتْ أُمُّهُ وَهِيَ غَاضِبَةٌ.

رَيْحَانَةُ: أَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبَ أُمَّهُ؟

الْأَبُ: الْأَصْلُ أَنَّ إِجَابَةَ الْأُمِّ وَبِرَّهَا مُهِمٌّ جِدًّا. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، أَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَنَادَتْهُ: "يَا جُرَيْجُ!" فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي!" فَفَضَّلَ صَلَاتَهُ. وَتَكَرَّرَ الْأَمْرُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَهَلْ غَضِبَتِ الْأُمُّ كَثِيرًا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، غَضِبَتْ أُمُّهُ غَضَبًا شَدِيدًا، فَدَعَتْ عَلَيْهِ دُعَاءً صَعْبًا، قَالَتْ: "اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ!"

لَيَانُ: وَهَلِ اسْتُجِيبَ دُعَاؤُهَا؟

الْأَبُ: دُعَاءُ الْوَالِدَيْنِ مُسْتَجَابٌ يَا لَيَانُ. وَفِي مَدِينَتِهِمْ، أَرَادَتِ امْرَأَةٌ سَيِّئَةُ السُّمْعَةِ أَنْ تُغْرِيَ جُرَيْجًا الْعَابِدَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا. فَغَضِبَتْ وَأَرَادَتْ أَنْ تُوقِعَهُ فِي مُصِيبَةٍ، فَفَعَلَتِ الْفَاحِشَةَ مَعَ رَاعٍ، ثُمَّ حَمَلَتْ مِنْهُ وَوَلَدَتْ غُلَامًا. ثُمَّ كَذَبَتْ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: "هَذَا الْوَلَدُ مِنْ جُرَيْجٍ الْعَابِدِ!"

مَرْجَانَةُ: يَا لَهَا مِنْ كَذِبَةٍ كَبِيرَةٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ، فَصَدَّقَهَا النَّاسُ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، فَغَضِبُوا مِنْ جُرَيْجٍ، وَأَتَوْا إِلَيْهِ وَهُمْ غَاضِبُونَ جِدًّا، فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ مِنْهَا بِالْقُوَّةِ، وَبَدَأُوا يَشْتُمُونَهُ. فَقَالَ لَهُمْ جُرَيْجٌ: "مَا شَأْنُكُمْ؟" قَالُوا: "زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ!"

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُ مِنْ ظُلْمٍ عَظِيمٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. وَهُنَا تَمَسَّكَ جُرَيْجٌ بِرَبِّهِ. فَقَالَ لَهُمْ: "دَعُونِي حَتَّىٰ أُصَلِّيَ." فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لِلَّهِ بِخُشُوعٍ وَيَقِينٍ، طَالِبًا مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُظْهِرَ الْحَقَّ.

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ الصَّلَاةِ؟

الْأَبُ: فَلَمَّا انْصَرَفَ جُرَيْجٌ مِنَ الصَّلَاةِ، أَتَىٰ الصَّبِيَّ الرَّضِيعَ، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِإِصْبَعِهِ وَقَالَ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللهِ: "يَا غُلَامُ، مَنْ أَبُوكَ؟" فَتَكَلَّمَ الرَّضِيعُ بِإِذْنِ اللهِ وَقَالَ: "فُلَانٌ الرَّاعِي!" (وَذَكَرَ اسْمَ الرَّاعِي الْحَقِيقِيَّ).

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ رَضِيعٍ! لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ! عِنْدَهَا، أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَىٰ جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَعْتَذِرُونَ مِنْهُ، وَقَالُوا: "سَنَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ!" فَقَالَ جُرَيْجٌ بِتَوَاضُعٍ وَزُهْدٍ: "لَا، أَعِيدُوهَا كَمَا كَانَتْ طِينًا."

رَيْحَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ عَظِيمٍ! لَمْ يَتَكَبَّرْ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَتْ بَرَاءَتُهُ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَيْحَانَةُ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَتْرُكُ الْمَظْلُومَ، وَأَنَّهُ يُظْهِرُ بَرَاءَتَهُ بِالْكَرَامَاتِ، وَأَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ بِإِخْلَاصٍ يَجْلِبُ الْفَرَجَ مِنَ اللهِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ الظُّلْمِ مَعَ اللُّجُوءِ إِلَىٰ اللهِ بِالصَّلَاةِ، يُؤَدِّي إِلَىٰ الْفَرَجِ.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الصَّالِحِينَ بِالْكَرَامَاتِ، حَتَّىٰ يَتَكَلَّمَ الرَّضِيعُ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ.
- **رَيْحَانَةُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ التَّوَاضُعَ وَالزُّهْدَ مِنْ صِفَاتِ الصَّالِحِينَ، فَلَمْ يَطْلُبْ جُرَيْجٌ الذَّهَبَ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَلَّا نُصَدِّقَ الشَّائِعَاتِ بِسُهُولَةٍ، وَأَنْ نَتَحَقَّقَ مِنَ الْأُمُورِ.
- **الْأَبُ**: وَأَهَمُّ دَرْسٍ هُوَ أَنَّ دُعَاءَ الْوَالِدَيْنِ مُسْتَجَابٌ، فَيَجِبُ الْحِرْصُ عَلَىٰ بِرِّهِمَا.

الْأَبُ: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ. هَلْ عَرَفْتُمْ الْآنَ قِيمَةَ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، حَتَّىٰ عَلَىٰ حِسَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ؟

***

قِصَّةُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ

الْأَبُ: أَحِبَّائِي الْأَبْطَالُ، الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً مِنْ أَجْمَلِ الْقَصَصِ وَأَكْثَرِهَا عِظَةً، قِصَّةَ رَجُلٍ أَمِينٍ وَفَىٰ بِعَهْدِهِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَيُيَسِّرُ لَهُ سُبُلَ الْوَفَاءِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تَحَدَّثَ عَنْهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لِنَأْخُذَ مِنْهَا الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! مَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَمِينُ؟

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ؟

الْأَبُ: كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَرَادَ أَنْ يَسْتَلِفَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ رَجُلٍ آخَرَ. فَقَالَ لَهُ الدَّائِنُ: "ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ لِيَشْهَدُوا عَلَىٰ الدَّيْنِ." فَقَالَ الرَّجُلُ الَّذِي يَسْتَلِفُ: "كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا." فَقَالَ الدَّائِنُ: "فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ (أَيِ الضَّامِنِ)." فَقَالَ: "كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا." فَأُعْجِبَ الدَّائِنُ بِإِيمَانِهِ وَثِقَتِهِ بِاللهِ، وَقَالَ: "صَدَقْتَ." فَدَفَعَ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ (أَيْ وَقْتٍ مُحَدَّدٍ لِلسَّدَادِ).

مَرْجَانَةُ: يَا لَهَا مِنْ ثِقَةٍ بِاللهِ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ الْمُسْتَلِفُ فِي الْبَحْرِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَىٰ أَمْرَهُ، بَدَأَ يَبْحَثُ عَنْ سَفِينَةٍ تُرْجِعُهُ إِلَىٰ بَلَدِهِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ لِسَدَادِ الدَّيْنِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَيَّ سَفِينَةٍ.

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ وَقَدِ اقْتَرَبَ الْأَجَلُ؟

الْأَبُ: لَمْ يَيْأَسِ الرَّجُلُ، فَأَخَذَ قِطْعَةً مِنَ الْخَشَبِ، وَنَقَرَهَا (أَيْ حَفَرَهَا)، ثُمَّ أَدْخَلَ فِيهَا الْأَلْفَ دِينَارٍ، وَوَضَعَ مَعَهَا رِسَالَةً صَغِيرَةً إِلَىٰ صَاحِبِ الْمَالِ، ثُمَّ أَحْكَمَ إِغْلَاقَهَا.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَهَلْ أَرْسَلَهَا هَكَذَا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدُ الرَّحْمَنُ، أَتَىٰ بِالْخَشَبَةِ إِلَىٰ شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَقَالَ دَاعِيًا رَبَّهُ بِكُلِّ إِيمَانٍ وَيَقِينٍ: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ... وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا... وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا." ثُمَّ رَمَىٰ بِالْخَشَبَةِ فِي الْبَحْرِ وَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ.

لَيَانُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! وَهَلْ وَصَلَتِ الْخَشَبَةُ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا لَيَانُ! خَرَجَ الرَّجُلُ الدَّائِنُ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْبَحْرِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ، لَعَلَّ سَفِينَةً قَدْ جَاءَتْ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ تَطْفُو عَلَىٰ الْمَاءِ. فَأَخَذَهَا لِيَسْتَخْدِمُوهَا حَطَبًا (أَيْ وَقُودًا). فَلَمَّا كَسَرَهَا وَشَقَّهَا، وَجَدَ الْمَالَ الْأَلْفَ دِينَارٍ، وَوَجَدَ الرِّسَالَةَ!

رَيْحَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ عَجَبٍ! لَقَدْ أَوْصَلَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ! ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ، قَدِمَ الرَّجُلُ الْمُسْتَلِفُ، وَأَتَىٰ وَمَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ أُخْرَىٰ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ مَالَهُ لَمْ يَصِلْ. فَقَالَ لَهُ الدَّائِنُ: "فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ؛ فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا."

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُ مِنْ وَفَاءٍ وَإِيمَانٍ عَظِيمٍ!

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا عَبْدُ الرَّحْمَنُ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعُهُودِ، حَتَّىٰ فِي أَصْعَبِ الظُّرُوفِ، يَجْلِبُ مَعُونَةَ اللهِ وَتَيْسِيرَهُ، وَأَنَّ التَّوَكُّلَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ يَفْتَحُ لَنَا أَبْوَابَ الْفَرَجِ وَالنَّجَاةِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعُهُودِ وَالْأَمَانَةَ، يَجْلِبُ رِضَا اللهِ وَتَيْسِيرَهُ.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُؤَيِّدُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِالْكَرَامَاتِ، حَتَّىٰ يُوصِلَ الْمَالَ فِي جَوْفِ خَشَبَةٍ.
- **رَيْحَانَةُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ الصِّدْقَ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَالِاعْتِمَادَ عَلَىٰ اللهِ هُمَا أَسَاسُ الْخَيْرِ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ كَفَاهُ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بِقُدْرَةِ اللهِ يَفْتَحُ الْأَبْوَابَ الْمُغْلَقَةَ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا. فَلْنَحْرِصْ دَائِمًا عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِكُلِّ عَهْدٍ نَقْطَعُهُ.

***

قِصَّةُ الْجَرِيحِ الَّذِي قَتَلَ نَفْسَهُ

الْأَبُ: أَحْبَائِي الْأَبْطَالُ، الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً مِنْ أَجْمَلِ الْقَصَصِ وَأَكْثَرِهَا عِظَةً، قِصَّةَ رَجُلِ ابْتُلِيَ وَلَمْ يَصْبِرْ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَذَّرَ مِنَ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِهِ، وَبَيَّنَ عُقُوبَةَ مَنْ يَتَجَرَّأُ عَلَىٰ قَتْلِ نَفْسِهِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تَحَدَّثَ عَنْهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! مَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ؟

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ؟

الْأَبُ: كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَنَا (أَيْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ)، أَصَابَهُ جُرْحٌ أَلِيمٌ. وَقَدْ كَانَ هَذَا الْجُرْحُ سَبَبًا فِي شُعُورِهِ بِالْأَلَمِ الشَّدِيدِ وَالْيَأْسِ مِنَ الشِّفَاءِ.

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ أَلَمٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. وَفِي لَحْظَةِ جَزَعٍ وَقِلَّةِ صَبْرٍ، لَمْ يَتَحَمَّلِ الرَّجُلُ الْأَلَمَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا.

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ بِالسِّكِّينِ؟

الْأَبُ: لِلْأَسَفِ، لَمْ يَتَوَكَّلِ الرَّجُلُ عَلَىٰ اللهِ وَيَصْبِرْ، بَلْ قَامَ بِفِعْلٍ عَظِيمِ الْخَطَأِ، فَقَطَعَ بِهَا يَدَهُ (أَوْ حَزَّ بِهَا يَدَهُ)، فَمَا تَوَقَّفَ الدَّمُ عَنِ النَّزْفِ حَتَّىٰ مَاتَ، بِسَبَبِ فِعْلِهِ هَذَا. وَهَذَا يَا أَحْبَابِي، يُعْتَبَرُ قَتْلًا لِلنَّفْسِ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ الْعَظِيمَةِ فِي الْإِسْلَامِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَبِي، هَلْ مَاتَ بِسَبَبِ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنُ، فَالْإِنْسَانُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ، بَلْ هِيَ وَدِيعَةٌ مِنَ اللهِ.

لَيَانُ: وَمَاذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ؟

الْأَبُ: عِنْدَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ: "بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ."

مَرْجَانَةُ: يَا لَهَا مِنْ عُقُوبَةٍ شَدِيدَةٍ! يَا أَبِي.

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. هَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ خُطُورَةَ قَتْلِ النَّفْسِ، أَوْ مَا يُعْرَفُ بِالِانْتِحَارِ. فَمَنْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ، فَقَدْ بَادَرَ اللهَ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ، وَارْتَكَبَ ذَنْبًا عَظِيمًا. لِأَنَّ الِانْتِحَارَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْحُرْمَةُ الشَّدِيدَةُ، وَيُعَدُّ مِنَ الْكَبَائِرِ الَّتِي تُوجِبُ غَضَبَ اللهِ لِأَنَّهُ اعْتِدَاءٌ عَلَىٰ حَقِّ اللهِ فِي الْحَيَاةِ، وَيَأْسٌ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَرَجِهِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ أَمَانَةٌ مِنَ اللهِ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُنْهِيَهَا بِنَفْسِهِ أَبَدًا.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ الْحَقُّ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ.
- **رَيْحَانَةُ**: يَا أَبِي، تَعَلَّمْتُ أَنَّ اللُّجُوءَ إِلَىٰ اللهِ بِالدُّعَاءِ وَالصَّبْرِ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّحِيحُ فِي الشَّدَائِدِ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَيْأَسَ مِنْ رَيَاحِ اللهِ مَهْمَا اشْتَدَّتِ الْمَصَاعِبُ.
- **الْأَبُ**: وَأَخِيرًا، نَتَعَلَّمُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ وَاجِبٌ، وَأَنَّ الْيَأْسَ مِنَ الرَّحْمَةِ حَرَامٌ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْطَالُ. لِنَجْعَلْ التَّوَكُّلَ والصَّبْرَ شِعَارَنَا فِي كُلِّ ضِيقَةٍ.

***

قِصَّةُ صَوْتٍ فِي سَحَابَةٍ

الْأَبُ: أَحِبَّائِي الْأَبْطَالُ، الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً مِنْ أَجْمَلِ الْقَصَصِ وَأَكْثَرِهَا عِظَةً، قِصَّةَ رَجُلٍ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ بِسَبَبِ صَدَقَتِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تَحَدَّثَ عَنْهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! مَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ؟

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ؟

الْأَبُ: كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَمْشِي فِي صَحْرَاءَ وَاسِعَةٍ. وَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ، سَمِعَ صَوْتًا مِنَ السَّحَابِ يَقُولُ: "اِسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ!" فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ، وَرَأَىٰ السَّحَابَ يَتَّجِهُ نَاحِيَةً مُعَيَّنَةً، ثُمَّ أَفْرَغَ مَاءَهُ كُلَّهُ فِي أَرْضٍ صَلْبَةٍ.

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ عَجِيبٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. ثُمَّ رَأَىٰ الرَّجُلُ مَجْرًىٰ صَغِيرًا مِنَ الْمَاءِ قَدِ اسْتَوْعَبَ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَقَرَّرَ أَنْ يَتَتَبَّعَ هَذَا الْمَجْرَىٰ لِيَعْرِفَ إِلَىٰ أَيْنَ يَذْهَبُ الْمَاءُ.

رَيْحَانَةُ: وَهَلْ وَصَلَ إِلَىٰ مَكَانٍ مُعَيَّنٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ. فَلَمَّا تَتَبَّعَ الْمَاءَ، وَجَدَ رَجُلًا قَائِمًا فِي حَدِيقَتِهِ، وَهُوَ يُوَجِّهُ الْمَاءَ لِيَسْقِيَ الزُّرُوعَ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَتَتَبَّعُ الْمَاءَ: "يَا عَبْدَ اللهِ! مَا اسْمُكَ؟" فَأَجَابَ صَاحِبُ الْحَدِيقَةِ بِاسْمِهِ، وَكَانَ هُوَ نَفْسَ الِاسْمِ الَّذِي سَمِعَهُ فِي السَّحَابِ: "فُلَانٌ".

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَهَلْ أَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنُ. فَأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ بِمَا سَمِعَهُ فِي السَّحَابِ، ثُمَّ سَأَلَهُ: "فَمَاذَا تَصْنَعُ فِيهَا (أَيْ فِي حَدِيقَتِكَ) حَتَّىٰ بَارَكَ اللهُ لَكَ هَذِهِ الْبَرَكَةَ الْعَظِيمَةَ؟"

لَيَانُ: وَمَاذَا كَانَ جَوَابُ صَاحِبِ الْحَدِيقَةِ؟

الْأَبُ: عِنْدَهَا، قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيقَةِ بِكُلِّ صِدْقٍ وَتَوَاضُعٍ: "أَمَا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا (أَيْ مِنَ الثِّمَارِ)، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأُعِيدُ فِيهَا (أَيْ أُنْفِقُ عَلَىٰ الْحَدِيقَةِ) ثُلُثًا."

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ! هَذِهِ الْقِصَّةُ تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الْبَرَكَةَ فِي الرِّزْقِ تَأْتِي بِالصَّدَقَةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحِفَاظِ عَلَىٰ الْمَالِ وَتَنْمِيَتِه.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ فِي الْعَمَلِ يُسَبِّبُ رِضَا اللهِ وَتَيْسِيرَ الْأُمُورِ لِلْعَبْدِ.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ تَقْسِيمَ الرِّزْقِ بِحِكْمَةٍ (لِلصَّدَقَةِ، وَلِلْأَهْلِ، وَلِلتَّطْوِيرِ) يُحَافِظُ عَلَىٰ الْمَالِ وَيُزِيدُهُ بَرَكَةً.
- **رَيْحَانَةُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ شُكْرَ اللهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ يُزِيدُ مِنَ النِّعَمِ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْكَرَمَ وَالتَّوَاضُعَ يَجْلِبَانِ الْمَحَبَّةَ وَالِاحْتِرَامَ، وَيَجْعَلَانِ الْمُجْتَمَعَ أَكْثَرَ تَعَاوُنًا.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا. فَكَمَا قَسَّمَ الرَّجُلُ رِزْقَهُ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ، فَلْنَحْرِصْ نَحْنُ أَيْضًا عَلَىٰ أَلَّا نَنْسَىٰ حَقَّ الْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِنَا، وَحَقَّ أُسَرِنَا، وَحَقَّ تَنْمِيَةِ مَوَارِدِنَا.

***

قِصَّةُ التَّائِبِ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ

الْأَبُ: أَبْنَائِي الْأَخْيَارُ يَا مَنْ تُحِبُّونَ قَصَصَ الْأَبْطَالِ، الْيَوْمَ سَأَرْوِي لَكُمْ حِكَايَةً تَهزُّ الْقُلُوبَ وَتَفْتَحُ الْعُقُولَ. إِنَّهَا قِصَّةُ رَجُلٍ أَضَلَّهُ الْجَهْلُ وَكَادَ يَهْلِكُ، ثُمَّ أَنْقَذَهُ الْعِلْمُ وَأَعَادَهُ إِلَىٰ النُّورِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! هَلِ الْعِلْمُ يُنْقِذُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْهَلَاكِ حَقًّا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، الْعِلْمُ كَالنُّورِ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، أَمَّا الْجَهْلُ فَظَلَامٌ قَاتِمٌ يَقُودُ صَاحِبَهُ إِلَىٰ الْهَاوِيَةِ. اسْتَمِعُوا جَيِّدًا لِهَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ.

كَانَ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ رَجُلٌ أَعْمَىٰ الْبَصِيرَةِ، غَلَبَهُ الْجَهْلُ فَتَاهَ فِي ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ. ارْتَكَبَ جَرِيمَةً تِلْوَ الْأُخْرَىٰ، حَتَّىٰ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا! وَمَعَ كُلِّ جَرِيمَةٍ، كَانَ يَشْعُرُ بِضِيقٍ فِي صَدْرِهِ، وَشَوْقٍ إِلَىٰ التَّوْبَةِ.

لَيَانُ: يَا اللهُ! تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا! هَلْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَتُوبَ بَعْدَ كُلِّ هَذَا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّتِي، اللهُ يَتُوبُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ بِصِدْقٍ. بَعْدَ ذَلِكَ سَأَلَ هَذَا الرَّجُلُ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَادَهُ جَهْلُهُ فِي الْبَدَايَةِ إِلَىٰ رَاهِبٍ. الرَّاهِبُ كَانَ عَابِدًا صَالِحًا، لَكِنَّ عِلْمَهُ كَانَ قَلِيلًا.

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا قَالَ لَهُ الرَّاهِبُ؟

الْأَبُ: أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ أَنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، وَسَأَلَهُ إِنْ كَانَ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ. فَمَا كَانَ مِنَ الرَّاهِبِ إِلَّا أَنْ قَالَ لَهُ بِيَأْسٍ وَقَسْوَةٍ: "لَا، لَيْسَ لَكَ تَوْبَةٌ!". لَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ دُونَ عِلْمٍ. فَمَاذَا فَعَلَ الرَّجُلُ؟ أَضَافَ الرَّاهِبَ إِلَىٰ قَائِمَةِ ضَحَايَاهُ، وَأَتَمَّ بِهِ الْمِائَةَ! لَقَدْ كَانَ الْجَهْلُ سَبَبًا فِي هَلَاكِ الْجَمِيعِ.

مَرْجَانَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَلِ اسْتَسْلَمَ الرَّجُلُ لِلْيَأْسِ؟

الْأَبُ: لَا، لَمْ يَيْأَسْ. فَسَأَلَ مَرَّةً أُخْرَىٰ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ دُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، وَاسِعِ الْعِلْمِ.

لَيَانُ: وَمَاذَا قَالَ لَهُ الْعَالِمُ؟

الْأَبُ: قَالَ لَهُ: "هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ لَقَدْ قَتَلْتُ مِائَةَ نَفْسٍ". فَرَدَّ الْعَالِمُ بِكُلِّ ثِقَةٍ وَإِيمَانٍ، مُسْتَمِدًّا إِجَابَتَهُ مِنْ نُورِ الْعِلْمِ: "نَعَمْ، وَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنَ التَّوْبَةِ؟!" ثُمَّ أَضَافَ: "انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ فِيهَا قَوْمًا صَالِحِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ". لَقَدْ أَعْطَاهُ الْعَالِمُ الْحَلَّ وَخَارِطَةَ الطَّرِيقِ لِلنَّجَاةِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: هَلْ ذَهَبَ إِلَىٰ تِلْكَ الْأَرْضِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، انْطَلَقَ مُسْرِعًا إِلَىٰ طَرِيقِ النَّجَاةِ. وَلَكِنْ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ. وَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ.

رَيْحَانَةُ: وَمَنِ انْتَصَرَ فِي النِّهَايَةِ؟

الْأَبُ: بَعَثَ اللهُ مَلَكًا لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقِيسُوا الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ. فَإِذَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْأَرْضِ الصَّالِحَةِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا. فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟ وَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْأَرْضِ الصَّالِحَةِ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْجَهْلَ خَطِيرٌ جِدًّا، وَقَدْ يُسَبِّبُ الْهَلَاكَ. فَالرَّاهِبُ أَفْتَىٰ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ أَنْ قُتِلَ.

- **لَيَانُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ النَّجَاةُ. الْعَالِمُ أَعْطَاهُ الْأَمَلَ وَأَرْشَدَهُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.
- **رَيْحَانَةُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ، وَأَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ دَائِمًا، مَهْمَا كَثُرَتِ الذُّنُوبُ.
- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. تَذَكَّرُوا دَائِمًا أَنَّ الْجَهْلَ يُضِلُّ، وَأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يُنِيرُ الدَّرْبَ. احْرِصُوا عَلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، فَهُوَ مِفْتَاحُ النَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الْأَبُ: هَلْ أَدْرَكْتُمُ الْفَرْقَ بَيْنَ حُكْمِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ وَحُكْمِ الْعَالِمِ؟ وَمَاذَا سَتَفْعَلُونَ لِتَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؟

***

قِصَّةُ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ وَالْمَلِكِ الظَّالِمِ

الْأَبُ: أَحِبَّائِي الْأَبْطَالُ، يَا مَنْ تُحِبُّونَ قَصَصَ الشَّجَاعَةِ وَالْإِيمَانِ، الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً مِنْ أَرْوَعِ الْقَصَصِ الَّتِي تَرْوِي كَيْفَ أَنَّ الْحَقَّ يَنْتَصِرُ عَلَىٰ الْبَاطِلِ، وَكَيْفَ أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ يَثْبُتُ أَمَامَ أَشَدِّ الْمِحَنِ. إِنَّهَا قِصَّةُ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي هِدَايَةِ أُمَّةٍ بِأَكْمَلِهَا.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! هَلْ يُمْكِنُ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ أَنْ يُغَيِّرَ أُمَّةً بِأَكْمَلِهَا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، الْإِيمَانُ وَالثَّبَاتُ عَلَىٰ الْحَقِّ يَمْنَحُ الْإِنْسَانَ قُوَّةً خَارِقَةً. كَانَ هُنَاكَ مَلِكٌ ظَالِمٌ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ يُعَلِّمُهُ. فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِرُ، طَلَبَ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يُرْسِلَ لَهُ غُلَامًا لِيُعَلِّمَهُ السِّحْرَ.

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ مَعَ الْغُلَامِ؟

الْأَبُ: فِي طَرِيقِ الْغُلَامِ إِلَىٰ السَّاحِرِ، كَانَ يَمُرُّ عَلَىٰ رَاهِبٍ مُؤْمِنٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ مِنْهُ كَلَامَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ. فَصَارَ الْغُلَامُ كُلَّمَا ذَهَبَ إِلَىٰ السَّاحِرِ مَرَّ عَلَىٰ الرَّاهِبِ. وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، رَأَىٰ دَابَّةً عَظِيمَةً تَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ الْمُرُورِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "الْيَوْمَ أَعْلَمُ، السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟" فَأَخَذَ حَجَرًا وَدَعَا اللهَ قَائِلًا: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ... فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ". ثُمَّ رَمَاهَا، فَقَتَلَهَا وَمَضَىٰ النَّاسُ.

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ شُجَاعٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. ذَهَبَ الْغُلَامُ إِلَىٰ الرَّاهِبِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: "أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، لَكِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ". وَبِفَضْلِ اللهِ، أَصْبَحَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَهَلِ اكْتَشَفَ الْمَلِكُ أَمْرَهُ؟

الْأَبُ: سَمِعَ بِهِ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَجَاءَهُ بِهَدَايَا. فَرَدَّ الْغُلَامُ بِكُلِّ إِيمَانٍ: "أَنَا لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا الشَّافِي هُوَ اللهُ، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ". فَآمَنَ الرَّجُلُ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ. فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَىٰ الْمَلِكِ، سَأَلَهُ الْمَلِكُ: "وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟!" قَالَ: "رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ". فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَعَذَّبَهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الْغُلَامِ.

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ لِلْغُلَامِ؟

الْأَبُ: أَحْضَرَ الْمَلِكُ الْغُلَامَ وَالرَّاهِبَ وَالْجَلِيسَ، وَعَذَّبَهُمَا، لَكِنَّهُمَا رَفَضَا الرُّجُوعَ عَنْ دِينِهِمَا. فَشَقَّهُمَا الْمَلِكُ بِالْمِنْشَارِ نِصْفَيْنِ. ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِالْغُلَامِ، فَأَبَىٰ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ جَمَاعَةً أَنْ يَذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلٍ وَيُلْقُوهُ مِنْ قِمَّتِهِ. فَدَعَا الْغُلَامُ: "اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ"، فَاهْتَزَّ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَعَادَ الْغُلَامُ يَمْشِي.

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ الْمَلِكُ؟

الْأَبُ: أَمَرَ الْمَلِكُ جَمَاعَةً أُخْرَىٰ أَنْ يُغْرِقُوهُ فِي الْبَحْرِ. فَدَعَا الْغُلَامُ اللهَ مَرَّةً أُخْرَىٰ: "اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ"، فَانْقَلَبَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ وَغَرِقُوا، وَعَادَ الْغُلَامُ إِلَىٰ الْمَلِكِ.

مَرْجَانَةُ: لَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ: "إِنَّكَ لَنْ تَقْتُلَنِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ". قَالَ الْمَلِكُ: "وَمَا هُوَ؟" قَالَ الْغُلَامُ: "اجْمَعِ النَّاسَ، وَصَلِّبْنِي، وَخُذْ سَهْمًا، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي". فَفَعَلَ الْمَلِكُ مَا قَالَهُ، وَقَتَلَهُ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَهَلْ آمَنَ النَّاسُ بِاللهِ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ، لَمَّا رَأَىٰ النَّاسُ ذَلِكَ، قَالُوا جَمِيعًا: "آمَنَّا بِاللهِ رَبِّ الْغُلَامِ". فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَأَمَرَ بِحَفْرِ الْأَخَادِيدِ، وَأَضْرَمَ فِيهَا النِّيرَانَ لِيُحْرِقَ كُلَّ مَنْ آمَنَ. حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا رَضِيعٌ، فَتَرَدَّدَتْ خَوْفًا. فَأَنْطَقَ اللهُ الرَّضِيعَ قَائِلًا: "يَا أُمَّاهُ اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ". فَصَبَرَتْ وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا وَرَضِيعِهَا فِي النَّارِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي مَاذَا تَعَلَّمْنَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ هُوَ أَعْظَمُ قُوَّةٍ، وَأَنَّ اللهَ يَنْصُرُ عِبَادَهُ الصَّادِقِينَ.
- **لَيَانُ**: فَهِمْتُ أَنَّ السِّحْرَ بَاطِلٌ وَضَعِيفٌ، وَأَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَحْدَهُ.
- **رَيْحَانَةُ**: عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَاعَةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْحَقِّ، حَتَّىٰ لَوْ كَلَّفَنَا ذَلِكَ حَيَاتَنَا.
- **مَرْجَانَةُ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ نَصْرَ اللهِ يَأْتِي لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ حِمَايَتِهِمْ.

الْأَبُ: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ يَا أَحِبَّائِي. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ الْحَقَّ لَا يُهْزَمُ أَبَدًا، وَأَنَّ أَعْظَمَ مَنْزِلَةٍ هِيَ مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ مَعَ اللهِ. هَلْ تُحِبُّونَ أَنْ نَقْرَأَ فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ عَنْ قِصَّةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ قَصَصِ الصَّحَابَةِ؟

***

قِصَّةُ الْوَصَايَا الْخَمْسِ الَّتِي تُنِيرُ الْحَيَاةَ

يَا أَحِبَّائِي الْكِرَامَ، الْيَوْمَ سَأَرْوِي لَكُمْ قِصَّةً عَظِيمَةً عَنْ وَصَايَا ثَمِينَةٍ، نَزَلَ بِهَا الْوَحْيُ عَلَىٰ نَبِيَّيْنِ عَظِيمَيْنِ، يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. هِيَ وَصَايَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! هَلْ هَذِهِ الْوَصَايَا مُهِمَّةٌ جِدًّا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، إِنَّهَا لَيْسَتْ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ، بَلْ هِيَ خَارِطَةُ طَرِيقٍ إِلَىٰ السَّعَادَةِ. أَمَرَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا لِيُعَلِّمَ بِهَا قَوْمَهُ. فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ عِيسَىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: "إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ... فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ أَنْتَ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ أَنَا؟". فَرَدَّ عَلَيْهِ يَحْيَىٰ بِتَوَاضُعٍ وَحِرْصٍ عَلَىٰ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ بِنَفْسِهِ: "أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي!".

لَيَانُ: وَمَاذَا فَعَلَ يَحْيَىٰ؟

الْأَبُ: جَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ وَقَفَ وَوَعَظَهُمْ قَائِلًا: "إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ".

الْوَصَايَا الْخَمْسُ: كُنُوزٌ مِنَ اللهِ

١. **الْوَصِيَّةُ الْأُولَىٰ: التَّوْحِيدُ**

"أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا".

وَمَثَلُ الْمُشْرِكِ كَمَثَلِ عَبْدٍ اشْتَرَاهُ سَيِّدُهُ بِمَالِهِ الْغَالِي، لَكِنَّ الْعَبْدَ أَخَذَ يَعْمَلُ لِشَخْصٍ غَيْرِ سَيِّدِهِ وَيُعْطِيهِ ثَمَنَ عَمَلِهِ! فَالشِّرْكُ بِاللهِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ.

٢. **الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَةُ: الصَّلَاةُ**

"وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا".

الصَّلَاةُ هِيَ لَحْظَةُ لِقَاءٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ. إِذَا وَقَفْتَ أَمَامَ اللهِ، رَكِّزْ بِقَلْبِكَ وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَىٰ شَيْءٍ آخَرَ؛ لِأَنَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ.

٣. **الْوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ: الصِّيَامُ**

"وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ".

وَمَثَلُ الصِّيَامِ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ كِيسٌ مَلِيءٌ بِالْمِسْكِ، يُحِبُّ النَّاسُ رَائِحَتَهُ. الصِّيَامُ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ يُحِبُّ رَائِحَةَ فَمِ الصَّائِمِ لِأَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ الطَّاعَةِ.

٤. **الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: الصَّدَقَةُ**

"وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ".

وَمَثَلُ الصَّدَقَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَمْسَكَهُ أَعْدَاؤُهُ وَأَوْثَقُوهُ، فَصَارَ يُعْطِيهِمُ الْمَالَ لِيَفْدِيَ نَفْسَهُ. كَذَلِكَ الصَّدَقَةُ، هِيَ فِدْيَةٌ لِلنَّفْسِ، تَدْفَعُ بِهَا الْبَلَاءَ وَتُنْجِي بِهَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

٥. **الْوَصِيَّةُ الْخَامِسَةُ: الذِّكْرُ**

"وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيرًا".

وَمَثَلُ الذَّاكِرِ لِلَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ يَتْبَعُهُ أَعْدَاؤُهُ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ حَتَّىٰ دَخَلَ حِصْنًا مَنِيعًا فَحَفِظَ نَفْسَهُ. كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحَصِّنُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ.

وَصَايَا مُتَمِّمَةٌ مِنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: هَلْ هُنَاكَ وَصَايَا أُخْرَىٰ، يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، أَكْمَلَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَايَا أُخْرَىٰ لَنَا، قَالَ: "وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ: الْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ".

لَيَانُ: مَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: يَعْنِي أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجْمَعُنَا. فَالْوَحْدَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُهِمَّةٌ. وَمَنْ يَدْعُو بِدَعَاوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَ الْعَصَبِيَّةِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ لِلْقَبِيلَةِ أَوِ الْوَطَنِ، فَهُوَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ، لِأَنَّ انْتِمَاءَنَا الْأَكْبَرَ هُوَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَلِدِينِ الْإِسْلَامِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْوَصَايَا

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ أَجْمَلُ الْفَوَائِدِ الَّتِي خَرَجْتُمْ بِهَا مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: أَنَا فَهِمْتُ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَسَاسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الشِّرْكَ يُحَرِّمُ الْجَنَّةَ.
- **لَيَانُ**: وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّ الْعِبَادَاتِ (الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالصَّدَقَةَ وَالذِّكْرَ) هِيَ وَسِيلَةٌ لِتَحْقِيقِ الطَّهَارَةِ وَالْأَمَانِ وَالنَّجَاةِ.
- **رَيْحَانَةُ**: وَفَهِمْتُ أَنَّ ذِكْرَ اللهِ حِصْنٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَنَّ الصَّدَقَةَ تُنْجِي مِنَ الْبَلَاءِ.
- **مَرْجَانَةُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْوَحْدَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُهِمَّةٌ، وَأَنَّ الِانْتِمَاءَ الْأَكْبَرَ هُوَ لِلَّهِ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا. هَذِهِ الْوَصَايَا هِيَ أَسَاسُ حَيَاتِنَا، فَاحْرِصُوا عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهَا، لِتَنَالُوا حُبَّ اللهِ وَرِضَاهُ. هَلْ تَذَكَّرُونَ كَيْفَ نُحَافِظُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ بِخُشُوعٍ كَمَا أَوْصَىٰ يَحْيَىٰ؟

***

قِصَّةُ نِهَايَةِ مُتَكَبِّرٍ مَغْرُورٍ

الْأَبُ: أَوْلَادِيَ الْأَكَارِمَ، سَأَرْوِي لَكُمْ قِصَّةً قَصِيرَةً مِنْ قِصَصِ الْأَقْوَامِ السَّابِقَةِ، يَرْوِيهَا لَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِتَكُونَ لَنَا عِبْرَةً وَعِظَةً. إِنَّهَا تُحَذِّرُنَا مِنْ صِفَةٍ ذَمِيمَةٍ تُهْلِكُ النُّفُوسَ، إِنَّهَا الْكِبْرُ وَالْغُرُورُ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! هَلِ الْكِبْرُ سَيِّئٌ إِلَىٰ هَذَا الْحَدِّ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، الْكِبْرُ هُوَ رَدُّ الْحَقِّ وَظُلْمُ النَّاسِ، وَهُوَ الشُّعُورُ بِأَنَّكَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِكَ فِي أَيِّ شَيْءٍ. وَهُوَ صِفَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ، وَقَدْ كَانَ سَبَبًا فِي هَلَاكِ هَذَا الرَّجُلِ.

كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، يَمْشِي فِي طَرِيقِهِ مُتَبَخْتِرًا، وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَشَعْرُهُ وَثِيَابُهُ. كَانَ يَنْظُرُ إِلَىٰ نَفْسِهِ فِي كِبْرٍ وَغُرُورٍ، يَظُنُّ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ.

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: بَيْنَمَا هُوَ فِي هَذَا الْحَالِ، خَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ! ابْتَلَعَتْهُ الْأَرْضُ بِأَمْرِ اللهِ، وَهُوَ يَتَبَاهَىٰ بِجِسْمِهِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ثِيَابٍ وَشَعْرٍ. فَأَخْبَرَنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَبْقَىٰ يَتَخَبَّطُ وَيَسْقُطُ فِيهَا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ. لَقَدْ كَانَ جَزَاؤُهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ.

رَيْحَانَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ لِأَنَّهُ كَانَ مَغْرُورًا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ. كَانَ غُرُورُهُ هُوَ سَبَبَ هَلَاكِهِ. فَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ، بَلْ يُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْنًا.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ، يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الْفَوَائِدِ الَّتِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَخْرِجَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: أَنَا فَهِمْتُ أَنَّ الْكِبْرَ قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ.
- **لَيَانُ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْقِيمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِلْإِنْسَانِ لَيْسَتْ فِي جَمَالِ مَظْهَرِهِ أَوْ مَلَابِسِهِ، بَلْ فِي أَخْلَاقِهِ وَتَوَاضُعِهِ.
- **رَيْحَانَةُ**: عَلِمْتُ أَنَّ الْمَظْهَرَ الْخَارِجِيَّ خَدَّاعٌ، وَأَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَبْتَعِدَ عَنِ الْغُرُورِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.
- **مَرْجَانَةُ**: أَنَا فَهِمْتُ أَنَّ التَّوَاضُعَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ، وَأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَنْفِرُ مِنْهُ النَّاسُ.
- **الْأَبُ**: وَنَتَعَلَّمُ أَيْضًا أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ فَمَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ بِغُرُورٍ، عَاقَبَهُ اللهُ بِنَقِيضِ عَمَلِهِ.

الْأَبُ: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ يَا أَحِبَّائِي. هَذِهِ الْقِصَّةُ دَرْسٌ لَنَا جَمِيعًا. تَوَاضَعُوا لِلَّهِ، لِتَنَالُوا مَحَبَّتَهُ وَمَحَبَّةَ النَّاسِ، وَتَذَكَّرُوا دَائِمًا أَنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ. هَلْ تَعْلَمُونَ قِصَصًا أُخْرَىٰ عَنْ عَوَاقِبِ الْكِبْرِ؟

***

قِصَّةُ الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ

أَوْلَادِي الْأَعِزَّاءَ، سَأَرْوِي لَكُمْ قِصَّةً تُعَلِّمُنَا مَعْنَىٰ الثَّبَاتِ عَلَىٰ الْمَبْدَأِ، الثَّبَاتِ عَلَىٰ الدِّينِ وَالْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ، وَكَيْفَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَتَنَازَلُ عَنْ دِينِهِ مَهْمَا كَانَتِ التَّضْحِيَاتُ. إِنَّهَا قِصَّةٌ يَحْكِيهَا لَنَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَقْوَامٍ سَابِقِينَ، تَحْمِلُ دَرْسًا عَظِيمًا فِي الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! هَلِ الْإِيمَانُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ كُلِّ هَذَا الصَّبْرِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، الْإِيمَانُ الْحَقِيقِيُّ يَظْهَرُ فِي أَشَدِّ الْأَوْقَاتِ صُعُوبَةً. كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَحْدَهُ. فَقُبِضَ عَلَيْهِ الْكُفَّارُ، وَحَفَرُوا لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ وَضَعُوهُ فِيهَا. بَعْدَ ذَلِكَ، جَاءُوا بِمِنْشَارٍ، وَوَضَعُوهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَشَقُّوهُ نِصْفَيْنِ. كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ لَمْ يَجْعَلْهُ يَتَرَاجَعُ عَنْ دِينِهِ.

لَيَانُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! هَذَا عَذَابٌ رَهِيبٌ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا لَيَانُ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ. كَانَ الْمُؤْمِنُ يُؤْخَذُ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطٍ مِنْ حَدِيدٍ حَتَّىٰ يَصِلُوا إِلَىٰ عِظَامِهِ وَعَصَبِهِ، لَكِنَّ إِيمَانَهُ كَانَ أَقْوَىٰ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ. لَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْبَقَاءِ.

رَيْحَانَةُ: وَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ؟

الْأَبُ: لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ وَيُجْبِرُوهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ. لَكِنَّ إِيمَانَهُ وَيَقِينَهُ كَانَا سَبَبَ ثَبَاتِهِ.

مَرْجَانَةُ: وَهَلْ سَيَنْتَصِرُ الْإِسْلَامُ فِي النِّهَايَةِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ، النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَكِّدُ فِي نِهَايَةِ الْحَدِيثِ، وَيُقْسِمُ: «وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ». أَيْ أَنَّ الْإِسْلَامَ سَيَنْتَشِرُ وَيَقْوَىٰ، حَتَّىٰ يُصْبِحَ الْأَمْنُ فِي كُلِّ مَكَانٍ. فَقَدْ

ضَرَبَ مِثَالًا بِأَنَّ الرَّاكِبَ سَيَسِيرُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ انْتِشَارِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لِمَاذَا قَالَ النَّبِيُّ: "وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"؟

الْأَبُ: قَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ لِيُعَلِّمَهُمْ أَنَّ طَرِيقَ النَّصْرِ يَحْتَاجُ إِلَىٰ صَبْرٍ وَثَبَاتٍ، وَأَنَّ النَّصْرَ لَا يَأْتِي بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَضْحِيَاتٍ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ، يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ لَا يَتَزَعْزَعُ مَهْمَا كَانَتِ الصِّعَابُ، وَأَنَّ الثَّبَاتَ عَلَىٰ الْحَقِّ أَهَمُّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ.
- **لَيَانُ**: فَهِمْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ يَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ.
- **رَيْحَانَةُ**: عَلِمْتُ أَنَّ الْعَذَابَ الْجَسَدِيَّ لَا يُضْعِفُ الْعَزِيمَةَ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ مَلِيئًا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.
- **مَرْجَانَةُ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ نَصْرَ اللهِ قَادِمٌ لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَصْبِرَ وَلَا نَسْتَعْجِلَ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ الْجَنَّةَ غَالِيَةٌ، وَثَمَنُهَا الصَّبْرُ وَالتَّضْحِيَةُ. فَمَهْمَا وَاجَهْتُمْ مِنْ صِعَابٍ، تَذَكَّرُوا هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالَ، وَتَذَكَّرُوا أَنَّ النَّصْرَ قَادِمٌ لَا مَحَالَةَ. هَلْ أَدْرَكْتُمُ الْآنَ لِمَاذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ أَبْطَالًا فِي الْإِيمَانِ؟

***

قِصَّةُ إِبْلِيسَ وَتَفْرِيقِ الْأَهْلِ

أَوْلَادِي الْأَبْطَالُ، الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً مِنْ أَجْمَلِ الْقِصَصِ وَأَكْثَرِهَا عِظَةً، قِصَّةَ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَسْعَىٰ دَائِمًا لِتَفْرِيقِ النَّاسِ وَإِفْسَادِ الْعَلَاقَاتِ، خَاصَّةً بَيْنَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَهْلِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تَحَدَّثَ عَنْهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبِي! مَنْ هُوَ إِبْلِيسُ؟

لَيَانُ: وَمَاذَا يَفْعَلُ؟

الْأَبُ: إِبْلِيسُ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَهُوَ عَدُوٌّ لَنَا يُرِيدُ دَائِمًا أَنْ يُبْعِدَنَا عَنِ الْخَيْرِ. يُخْبِرُنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، ثُمَّ يُرْسِلُ جُنُودَهُ فِي كُلِّ الْأَرْضِ لِيُفْسِدُوا بَيْنَ النَّاسِ.

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ شِرِّيرٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَدْنَىٰ هَؤُلَاءِ الْجُنُودِ (أَيِ الْأَقْرَبُ إِلَىٰ إِبْلِيسَ) هُوَ أَكْثَرُهُمْ قُدْرَةً عَلَىٰ نَشْرِ الْفِتْنَةِ. يَأْتِي أَحَدُ جُنُودِ إِبْلِيسَ فَيَقُولُ: "فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا" (أَيْ أَوْقَعْتُ النَّاسَ فِي ذُنُوبٍ). فَيَقُولُ لَهُ إِبْلِيسُ بِاسْتِهْزَاءٍ: "مَا صَنَعْتَ شَيْئًا!" (أَيْ أَنَّ مَا فَعَلْتَهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْعَظِيمِ).

رَيْحَانَةُ: وَمَا الَّذِي يُعْجِبُ إِبْلِيسَ؟

الْأَبُ: ثُمَّ يَأْتِي جُنْدِيٌّ آخَرُ، فَيَقُولُ لَهُ بِفَخْرٍ: "مَا تَرَكْتُ فُلَانًا حَتَّىٰ فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ" (أَيْ جَعَلْتُهُ يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ). فَيُقَرِّبُهُ إِبْلِيسُ مِنْهُ بِشِدَّةٍ، وَيَقُولُ لَهُ بِسُرُورٍ وَإِعْجَابٍ: "نَعَمْ أَنْتَ!" ثُمَّ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ بِقُوَّةٍ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَفْرِيقَ الْأَهْلِ وَالْأَزْوَاجِ هُوَ أَعْظَمُ شَيْءٍ يُحِبُّهُ إِبْلِيسُ وَيَفْرَحُ بِهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا لَهُ مِنْ خَطَرٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ إِبْلِيسَ يَكْرَهُ الْعَلَاقَاتِ الطَّيِّبَةَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَسْوَأُ مَا يُحِبُّهُ هُوَ تَخْرِيبُ الْأُسَرِ وَإِفْسَادُ الْبُيُوتِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّيْطَانِ

الْأَبُ: وَالْآنَ يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا لِلتَّحْذِيرِ مِنْ الشَّيْطَانِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَفْرَحُ كَثِيرًا عِنْدَمَا يَتَشَاجَرُ النَّاسُ، فَيَجِبُ أَنْ نُحَافِظَ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ فِي بُيُوتِنَا.
- **تَحْذِيرٌ**: لَا تَكُونُوا سَبَبًا فِي الْخِصَامِ بَيْنَ أَهْلِكُمْ، وَتَذَكَّرُوا دَائِمًا أَنَّ إِبْلِيسَ يُحِبُّ ذَلِكَ.
- **لَيَانُ**: فَهِمْتُ أَنَّ الْحِفَاظَ عَلَى الْأُسْرَةِ وَعَلَاقَاتِهَا الطَّيِّبَةِ هُوَ شَيْءٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَيُبْغِضُهُ الشَّيْطَانُ.
- **تَحْذِيرٌ**: احْرِصُوا دَائِمًا عَلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَنَشْرِ الْمَحَبَّةِ، وَلَا تَدَعُوا فُرْصَةً لِلشَّيْطَانِ لِيُفْسِدَ.
- **رَيْحَانَةُ**: عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةَ الْإِيمَانِ وَذِكْرَ اللهِ هُمَا أَفْضَلُ طَرِيقَةٍ لِلْحِمَايَةِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ.
- **تَحْذِيرٌ**: عِنْدَمَا تَشْعُرُونَ بِغَضَبٍ يَدْفَعُكُمْ لِتَكَلُّمِ كَلَامٍ سَيِّءٍ، تَعَوَّذُوا بِاللهِ، فَإِنَّهَا مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ.
- **مَرْجَانَةُ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّ بَعْضَنَا بَعْضًا، وَأَنْ نَتَعَاوَنَ عَلَى الْخَيْرِ، لِأَنَّ هَذَا يُغْضِبُ الشَّيْطَانَ.

- **تَحْذِيرٌ**: انْتَبِهُوا مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يُوقِعُ الْفُرْقَةَ بَيْنَ النَّاسِ، فَكُلُّ كَلِمَةٍ سَيِّئَةٍ تُشْعِلُ فِتْنَةً هِيَ فَرَحٌ لِإِبْلِيسَ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَحْبَابِي. تَذَكَّرُوا دَائِمًا أَنَّ الْأُسْرَةَ الْمُتَمَاسِكَةَ هِيَ أَفْضَلُ مَا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ. فَمَا الَّذِي سَتَفْعَلُونَهُ الْيَوْمَ لِتُدْخِلُوا السُّرُورَ عَلَىٰ أَخِيكُمْ أَوْ أُخْتِكُمْ؟

***

قِصَّةُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالشَّيْطَانِ السَّارِق

أَحْبَابِي الشُّجْعَانَ، الْيَوْمَ سَنَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً عَظِيمَةً وَمُفِيدَةً جِدًّا، تُعَلِّمُنَا كَيْفَ نَحْمِي أَنْفُسَنَا مِنَ الشَّيْطَانِ بِمُجَرَّدِ قِرَاءَةِ آيَةٍ وَاحِدَةٍ. هَذِهِ الْقِصَّةُ جَرَتْ بَيْنَ صَحَابِيٍّ جَلِيلٍ اسْمُهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَشَيْطَانٍ سَارِقٍ خَبِيثٍ.

لَيَانُ: نَعَمْ يَا أَبِي! وَلَكِنْ كَيْفَ نَحْمِي أَنْفُسَنَا مِنْهُ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا قُرَّةَ عَيْنِي. كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ مُوَكَّلًا بِحِفْظِ طَعَامِ زَكَاةِ الْفِطْرِ.

الليلة الأولى: الرحمة تغلبه

جَاءَ رَجُلٌ يَتَسَلَّلُ لِيَأْخُذَ مِنَ الطَّعَامِ. فَأَمْسَكَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَقَالَ لَهُ: "لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!" فَقَالَ الرَّجُلُ: "إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَحَاجَةٌ شَدِيدَةٌ!"

مَرْجَانَةُ: فَهَلْ تَرَكَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ. رَقَّ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَتَرَكَهُ يَذْهَبُ. وَفِي الصَّبَاحِ، أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا هُرَيْرَةَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ.»

الليلة الثانية: الوعود الكاذبة

جَاءَ الرَّجُلُ مَرَّةً أُخْرَىٰ يَتَسَلَّلُ. فَأَمْسَكَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: "لَنْ أَعُودَ."

رَيْحَانَةُ: فَهَلْ تَرَكَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا؟

الْأَبُ: رَحِمَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَتَرَكَهُ يَذْهَبُ. وَفِي الصَّبَاحِ، أَكَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ.»

الليلة الثالثة: كشف السر

عَلِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَيَعُودُ، فَاسْتَعَدَّ لَهُ. وَبِالْفِعْلِ، جَاءَ الرَّجُلُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ. فَأَمْسَكَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَقَالَ لَهُ بِعَزْمٍ: "لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! هَذِهِ ثَالِثُ مَرَّةٍ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَنْ تَعُودَ ثُمَّ تَعُودُ!"

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَمَاذَا قَالَ الرَّجُلُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟

الْأَبُ: قَالَ الرَّجُلُ: "دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا."

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "مَا هِيَ؟"

قَالَ الرَّجُلُ: "إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ... لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ." فَخَلَّىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ سَبِيلَهُ.

لَيَانُ: وَمَاذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّبَاحِ؟

الْأَبُ: فِي الصَّبَاحِ، لَمَّا أَخْبَرَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ. تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «لَا.»

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ!»

مَرْجَانَةُ: سُبْحَانَ اللهِ! كَانَ شَيْطَانًا!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّتِي! الشَّيْطَانُ كَذَّابٌ مَاكِرٌ، لَكِنَّهُ اضْطُرَّ بِقُدْرَةِ اللهِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لِيُعَلِّمَنَا فَضْلَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ.

الدُّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: مَا هِيَ أَعْظَمُ الدُّرُوسِ؟

- **أَعْظَمُ حِصْنٍ**: تَعَلَّمْنَا أَنَّ آيَةَ الْكُرْسِيِّ حِصْنٌ مَنِيعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ يَقْرَأْهَا قَبْلَ النَّوْمِ، فَإِنَّ اللهَ يَحْفَظُهُ وَيَحْمِيهِ حَتَّىٰ الصَّبَاحِ.
- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ (الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ) لَهُ قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ تُخِيفُ الشَّيْطَانَ وَتُبْعِدُهُ عَنَّا، فَهُوَ نُورٌ يُضِيءُ لَنَا حَيَاتَنَا.
- **لَيَانُ**: تَعَلَّمْتُ أَنْ نَقْرَأَ الْآيَةَ لِأَجْلِ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» لَا لِأَجْلِ قَوْلِ الشَّيْطَانِ، وَهَذَا يُعَلِّمُنَا أَنْ نَتَّبِعَ سُنَّتَهُ دَائِمًا.
- **رَيْحَانَةُ**: عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَكِيمٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ لَوْ جَاءَ الْحَقُّ عَلَىٰ لِسَانِ عَدُوٍّ لَنَا مِثْلِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ اللهَ يُدَبِّرُ لِيُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا.
- **مَرْجَانَةُ**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ جَمِيلَةٌ، وَأَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ رَحِيمًا حَتَّىٰ بِمَنْ ادَّعَىٰ الْحَاجَةَ وَهُوَ كَاذِبٌ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. هَيَّا بِنَا نَحْفَظُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ. مَنْ مِنْكُمْ سَيَبْدَأُ الْيَوْمَ فِي الْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ قِرَاءَتِهَا قَبْلَ النَّوْمِ؟

آيَةُ الْكُرْسِيِّ:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

***

قِصَّةُ النَّبِيِّ الَّذِي أَحْرَقَ قَرْيَةَ النَّمْلِ

أَهْلاً بِكُمْ أَحِبَّائِي، هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِقِصَّةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ؟ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَهَمِّيَّةَ الرَّحْمَةِ حَتَّىٰ مَعَ أَصْغَرِ الْكَائِنَاتِ. لَقَدْ رَوَىٰ لَنَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَعَمْ يَا أَبِي! أَنَا أُحِبُّ قَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ.

لَيَانُ: وَمَاذَا سَتُعَلِّمُنَا هَذِهِ الْقِصَّةُ؟

الْأَبُ: اسْتَمِعُوا جَيِّدًا... نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ لِيَسْتَرِيحَ. وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ.

مَرْجَانَةُ: نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا مَرْجَانَةُ، نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ. لَقَدْ أَغْضَبَتْهُ قَرْصَتُهَا، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ مَتَاعِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْرَاقِ بَيْتِ النَّمْلِ بِالنَّارِ. لَقَدْ أَحْرَقَ الْقَرْيَةَ بِأَكْمَلِهَا.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: هَلْ كَانَ هَذَا جَائِزًا لَهُ؟

الْأَبُ: لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا جَائِزٌ فِي شَرِيعَتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَاتَبَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْفِعْلِ.

لَيَانُ: وَكَيْفَ عَاتَبَهُ اللهُ؟

الْأَبُ: أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ يَقُولُ: «فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً». وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: «أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنْ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ».

رَيْحَانَةُ: مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: يَعْنِي أَنَّ اللهَ يَقُولُ لَهُ: لِمَاذَا أَحْرَقْتَ الْقَرْيَةَ بِأَكْمَلِهَا؟ هَلَّا عَاقَبْتَ النَّمْلَةَ الْوَاحِدَةَ الَّتِي آذَتْكَ فَقَطْ؟ هَذَا الْعِتَابُ الْإِلَهِيُّ يُعَلِّمُنَا أَنَّ إِهْلَاكَ أُمَّةٍ كَامِلَةٍ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَتْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، بِسَبَبِ إِيذَاءِ فَرْدٍ وَاحِدٍ هُوَ أَمْرٌ لَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَيُخَالِفُ مَبْدَأَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ فِي الرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ

الْأَبُ: وَالْآنَ مَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَا أَبْطَالُ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ (الرَّحْمَةُ)**: فَائِدَتِي هِيَ أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَرْحَمَ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ، حَتَّىٰ الْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرَةَ، وَلَا نَقْتُلَهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ تُؤْذِينَا وَتَعْتَدِي عَلَيْنَا.
- **لَيَانُ (تَحْرِيمُ النَّارِ)**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ التَّعْذِيبَ بِالنَّارِ حَرَامٌ فِي دِينِنَا، حَتَّىٰ لِلْحَيَوَانِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ».
- **مَرْجَانَةُ (تَنَاسُبُ الْعُقُوبَةِ)**: الْعُقُوبَةُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُتَنَاسِبَةً مَعَ الْخَطَأِ، وَلَا نُسْرِفُ فِي الْغَضَبِ فَنُؤْذِيَ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.
- **رَيْحَانَةُ (تَسْبِيحُ الْخَلْقِ)**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ كُلَّ الْخَلْقِ، حَتَّىٰ النَّمْلَ، يُسَبِّحُ اللهَ، وَهَذَا يُعْطِينَا دَافِعًا أَكْبَرَ لِنَرْحَمَهُمْ وَنُحْسِنَ إِلَيْهِمْ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. هَذَا هُوَ دِينُ الرَّحْمَةِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُعَلِّمَنَا الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. هَلْ تَتَذَكَّرُونَ أَيَّ أَمْثِلَةٍ أُخْرَىٰ لِلرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانِ فِي دِينِنَا؟

***

قِصَّةُ مَيْتٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

الْأَبُ: أَهْلاً بِكُمْ يَا أَبْنَائِي، الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً عَجِيبَةً تُبَيِّنُ لَنَا عِظَمَ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ. رَوَىٰ لَنَا هَذَا الْحَدِيثَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: قِصَّةٌ عَنْ مَيْتٍ! هَلْ هِيَ حَقِيقِيَّةٌ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. تَقُولُ الْقِصَّةُ إِنَّ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ إِلَىٰ مَقْبَرَتِهِمْ، فَقَالُوا: «لَوْ صَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ وَدَعَوْنَا اللهَ أَنْ يُخْرِجَ لَنَا رَجُلاً مِمَّنْ قَدْ مَاتَ، لَنَسْأَلُهُ عَنْ الْمَوْتِ وَمَاذَا شَعَرَ بِهِ».

لَيَانُ: وَهَلْ فَعَلُوا؟

الْأَبُ: نَعَمْ. قَامُوا وَصَلَّوْا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ دَعَوْا اللهَ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَدْعُونَ، إِذْ ظَهَرَ رَأْسُ رَجُلٍ مِنْ قَبْرٍ. كَانَ لَوْنُهُ أَسْمَرَ، وَكَانَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرٌ لِلسُّجُودِ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ عَابِدًا وَصَالِحًا.

مَرْجَانَةُ: وَمَاذَا قَالَ؟

الْأَبُ: نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «يَا هَؤُلَاءِ، مَاذَا أَرَدْتُمْ مِنِّي؟ لَقَدْ مِتُّ مُنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمَا سَكَنَتْ عَنِّي حَرَارَةُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ الْآنَ! فَادْعُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لِي أَنْ يُعِيدَنِي كَمَا كُنْتُ».

رَيْحَانَةُ: يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ مُخِيفَةٍ وَعَجِيبَةٍ!

الْأَبُ: نَعَمْ، إِنَّهَا تُذَكِّرُنَا بِعَظَمَةِ اللهِ وَشِدَّةِ الْمَوْتِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ، مَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ (قُدْرَةُ اللهِ)**: فَائِدَتِي هِيَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ.
- **لَيَانُ (شِدَّةُ الْمَوْتِ)**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَشَدِيدٌ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ مَا زَالَتْ حَرَارَتُهُ بَاقِيَةً لِمِائَةِ سَنَةٍ.
- **مَرْجَانَةُ (أَدَبُ الدُّعَاءِ)**: يُسْتَحَبُّ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ دُعَائِهِ، فَهَذَا مِنْ أَدَبِ الدُّعَاءِ.
- **رَيْحَانَةُ (الِاسْتِعْدَادُ)**: تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهَذَا يُذَكِّرُنَا بِأَهَمِّيَّةِ الِاسْتِعْدَادِ لِهَذِهِ اللَّحْظَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. هَذِهِ الْقِصَّةُ تُرِينَا عَظَمَةَ اللهِ وَتُذَكِّرُنَا بِأَنْ نَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ. فَمَا هُوَ أَفْضَلُ عَمَلٍ نَسْتَعِدُّ بِهِ لِلْمَوْتِ؟

***

قِصَّةُ طِفْلٍ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ

أَهْلاً بِكُمْ أَبْنَائِي. الْيَوْمَ سَأَحْكِي لَكُمْ قِصَّةً عَجِيبَةً جِدًّا تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْطِقَ الْأَطْفَالَ فِي مَهْدِهِمْ لِيُظْهِرَ الْحَقَّ. هَذِهِ الْقِصَّةُ رَوَاهَا لَنَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ: طِفْلٌ يَتَكَلَّمُ؟ هَذَا مُسْتَحِيلٌ يَا أَبِي!

الْأَبُ: لَيْسَ مُسْتَحِيلاً عَلَىٰ اللهِ يَا بُنَيَّ. كَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُرْضِعُ ابْنَهَا الصَّغِيرَ. وَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ، مَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو مَلَابِسَ جَمِيلَةٍ وَمَظْهَرٍ أَنِيقٍ. فَنَظَرَتِ الْمَرْأَةُ إِلَيْهِ بِإِعْجَابٍ وَقَالَتْ: «اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ».

لَيَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: تَرَكَ الطِّفْلُ الرَّضِيعُ ثَدْيَ أُمِّهِ، وَنَظَرَ إِلَىٰ الرَّاكِبِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ صَغِيرٍ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ»، ثُمَّ عَادَ لِيُرْضَعَ.

مَرْجَانَةُ: يَا لَهُ مِنْ طِفْلٍ حَكِيمٍ!

الْأَبُ: بَعْدَ فَتْرَةٍ، مَرَّتْ بِهَا أَمَةٌ بَسِيطَةٌ وَلَكِنَّهَا بَائِسَةٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَّهِمُونَهَا بِالسَّرِقَةِ وَالزِّنَا وَهِيَ بَرِيئَةٌ. فَقَالَتِ الْأُمُّ لِابْنِهَا: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ».

رَيْحَانَةُ: وَمَاذَا قَالَ الطِّفْلُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟

الْأَبُ: تَرَكَ الطِّفْلُ الرَّضِيعُ ثَدْيَ أُمِّهِ مَرَّةً أُخْرَىٰ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا». فَتَعَجَّبَتْ أُمُّهُ وَسَأَلَتْهُ: «لِمَ قُلْتَ ذَلِكَ؟»

فَأَجَابَهَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ الْحَكِيمُ: «أَمَّا الرَّاكِبُ ذُو الْمَلَابِسِ الْجَمِيلَةِ، فَهُوَ رَجُلٌ مُتَكَبِّرٌ وَجَبَّارٌ لَا يُحِبُّهُ اللهُ. وَأَمَّا هَذِهِ الْأَمَةُ، فَالنَّاسُ يَتَّهِمُونَهَا بِأَشْيَاءَ كَاذِبَةٍ، وَهِيَ تَقُولُ فِي قَلْبِهَا: 'حَسْبِيَ اللهُ' وَتَصْبِرُ عَلَىٰ ابْتِلَائِهَا. فَأَنَا أَخْتَارُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَهَا، صَابِرًا وَمُؤْمِنًا».

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْقِصَّةِ

الْأَبُ: وَالْآنَ، مَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَا أَبْطَالُ؟

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ (الْمَظَاهِرُ الْخَادِعَةُ)**: الْمَظَاهِرُ خَادِعَةٌ. الْمُهِمُّ هُوَ مَا فِي الْقَلْبِ وَلَيْسَ مَا فِي الظَّاهِرِ؛ فَالْمُتَكَبِّرُ لَيْسَ أَفْضَلَ مِنَ الْمَظْلُومِ الصَّابِرِ.
- **لَيَانُ (قُدْرَةُ اللهِ)**: اللهُ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ عَلَىٰ أَنْ يُنْطِقَ طِفْلاً رَضِيعًا لِيُصَحِّحَ فِكْرَةً خَاطِئَةً.
- **مَرْجَانَةُ (فَضْلُ الصَّبْرِ)**: الصَّبْرُ عَلَىٰ الِابْتِلَاءِ وَالتُّهَمِ الْبَاطِلَةِ هو مِنْ أَعْلَىٰ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللهِ، وَالْمَظْلُومُ الَّذِي يَقُولُ "حَسْبِيَ اللهُ" لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.
- **رَيْحَانَةُ (الدُّعَاءُ بِالصَّلَاحِ)**: يَجِبُ أَنْ نَدْعُوَ لِأَنْفُسِنَا وَلِأَوْلادِنَا بِأَنْ نَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ فِي الْبَاطِنِ، وَأَنَّ الْعِزَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ فِي الْإِيمَانِ وَالْخُلُقِ الصَّالِحِ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. هَذِهِ الْقِصَّةُ تَعْلِيمٌ لَنَا لِكَيْ لَا نُحْكَمَ عَلَىٰ النَّاسِ بِمَظَاهِرِهِمْ، وَلِكَيْ نُرَبِّيَ أَنْفُسَنَا عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ. فَهَلْ سَتُفَكِّرُونَ مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي حَالِ الشَّخْصِ قَبْلَ مَظْهَرِهِ؟

***

الفهرس


سلسلة قصص الأطفال (٢)
قصص الأطفال
الجزء الثاني
قصة نبينا محمد ﷺ
من الولادة إلى الوفاة
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (١)
قصص الأطفال
الجزء الأول
قصص الأنبياء
عليهم السلام
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (٥)
قصص الأطفال
الجزء الخامس
قصص العقيدة الصحيحة
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (٤)
قصص الأطفال
الجزء الرابع
صحيح القصص النبوية
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (٣)
قصص الأطفال
الجزء الثالث
قصص القرآن الكريم
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
دار الطبراني
للطباعة والتجليد
اليمن - لحج - تبن - دار الحديث
السلفية بالفيوش
775250954